

حول الاستشراق المعاصر :

تحقيق في الحال : هل تقع في العربية نفيًا

د. نهاد الموسى
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - الجامعة الأردنية

الخاص بموضوع من مواضع ذلك الباب . وهذا الموضوع مما أخبرني أحد الاساتذة (2) أنه يعمل عليه منذ سنوات ، لكنه ابتدرني منذ البدء بما يشبه التقرير الحاسم اننا نقول ، في العربية :

جاء (. . .) بيكس

جاء (. . .) يضحك

موضوع البحث ، والباعث الى هذا التحقيق

استأنف في هذه المقالة تحقيقا اضافيا في احدى المسائل التي هي محل نظر في الاستشراق المعاصر وقد ورد علي طائفة من هذه المسائل في مقابسات مع بعض اساتذة الاستشراق الالمانى (1) .

ومدار المسألة التي اقيم عليها هذا التحقيق باب الحال من النحو العربي ، أما محورها الرئيسي

(1) وذلك خلال شطر من اجازة التفرغ العلمى التي منحتنى اياها الجامعة الاردنية للعام الجامعى 78 - 1979 . وهو شطر انفتحه زائرا في جامعة ميونيخ وتوبنجن وارلنجن ويون . وكل واحدة من تلك المسائل موضوع جدير بان يرجع فيه النظر من الجانب العربرى . وكان بعض تلك المسائل محل حفظ لى منذ الخاطر الاول ، ولكنى اشكر - بلا تحفظ - للاساتذة الذين اثاروها ولست اسيهم الا ان تكون المسألة محل النظر تستلزم العزو على وجه الامانة والتحري العلمى ، كما اشكر للجامعة الاردنية ولكل من اسهم في ان تتاح لى تلك الفرصة العلمية المفيدة .

(2) هو الدكتور ا. دننسى (A. Denz) بطلقة الساميات من جامعة ميونيخ . وانا - هنا - احكى ما كان - هناك ، واحيل على تلك المقابلة التي كانت بينى وبينه في ميونيخ ، ايار 1979 ، وشهدتها المستشرقة الدكتوراة اولركه موزل (Ulrike Mosel) ، وانطلق في التحقيق من حيث انتهت المقابلة يومئذ .

بيد أننا لا نقول :

جاء (. . .) لا يبكي

جاء (. . .) لا يضحك

وكانت هذه بعض الأمثلة الفاتحة التي جاء بها في تقرير المسألة على وجه التحكم والمناقشة ليبلغ أقصى حد ممكن في أزجائها أجزاء القبول .

وقد دأبته عن هذا الاعتقاد بأمثلة من وقوع الحال ، في العربية ، منفية ، على وجه دلالي :

رجع (. . .) مسرورا

رجع (. . .) غير مسرور

أو على وجه من النفس بلا :

جنت لا أعلم ..

أو بليس :

جاء (. . .) ليس عليه من علائم المجاهدة شيء ، أو بلا نافية للخبر من جملة الحال الاسمية :

دخل ألمانيا وهو لا يعلم من أمر الحياة فيها شيئا .

ولكنه استبعد أمثلة (غير) من دائرة النفي ، واتكر المثال الأخير بما يشبهه تطع الواصل أن هذه الصورة من نفي الحال (3) لا تقع في العربية البتة !! وأجمل موقفه من المسألة كلها بأن وقوع الحال ، نفي العربية ، منفية أمر « نادر جدا » (4) . وكأنا أقام على الاعتقاد بهذا الأمر فهو يلتزم له تفسيراً .

وقد عقدت العزم منذ يومئذ على أن أرجع النظر في هذه المسألة وأن أمعن في تبينها والاستدلال عليها وراء ما أسعف به جواب الفجاءة الميداني يومذاك ، إلى غاية شافية أو قريب من ذلك .

وكان مما بدا لي أن الرجل صدر في موقفه من الجواز والمنع صدوا وصفا ، أي أنه صدر عن أن نفي الحال في العربية لا يكون ، فإذا التمسنا فيها

وجدناه نادراً جداً ، وهكذا طرح الأمر على أن مسألة نفي الحال محل النظر تحتاج ابتداء إلى أن يقام على وجودها الدليل . واذن يتعين أن يكون الحوار معه قائماً على التحقيق في وجود هذه الظاهرة في العربية . فإذا استقام لنا ذلك بالأدلة الكافية أصبح التماس التفسير لعدم ورود الحال منفية أو لندرة ورودها منفية غير وارد أصلاً .

مراجع التحقيق ومنهج البحث

واتخذت لهذا التحقيق ضريين من المراجع ، طائفة من كتب النحو ، وطائفة من النصوص .

واستوعبت كتب النحو أمهات وأصولاً ككتاب سيويه ، والمتنضب للمبرد ، والأصول لابن السراج ، والمفصل للزمخشري ، وأوضح المسالك وشرح القنطري وشرح الشذور والمغنى لابن هشام ، وشرح ابن عقيل ، وشرح الأشموني ، وجمع الهوامع للسيوطي . . . كما وسعت بعض كتب المحدثين كالنحو الوافي لعباس حسن ، ومذكرات في قواعد اللغة العربية لسعيد الأماني ، وفي النحو العربي لمهدي المخزومي ، استئناساً وملاحظة لاستمرار الظاهرة في المعالجات النحوية المعاصرة .

واستوعبت عينة النصوص مجموعة من السور ، وجزءاً من التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح ، ومجموعات من الشعر القديم هو الوحشيات ، وأصلين من النثر العباسي هما البخلاء ومقامات البديع ، وأمثلة متنوعة من فن القول في المختارات السائرة للمقدسي ، كما استوعبت الوثائق من الأدب الحديث شعراً وقصة ومقالة ، ووسعت نماذج من الاستعمال اللغوي المعاصر على مستوى الصحافة اليومية ، والثقافية ، والدراسات التي تتناول المسائل العامة ، والأدب المترجم .

وقد تعرض صور من الحال منفية في أطر حديثة من صحافة وتآليف ، وهي ترد في الأصل إلى نصوص قديمة من التراث كالسيرة وكتب الأوائل .

(3) صورة الحال الواقعة جملة اسمية خبرها جملة فعلية منفية بلا .

(4) أو كما قال بالانجليزية حرفياً : very rare

صورة المسألة في كتب النحو

ماذا التمسنا بيان النحويين عن هذه المسألة وجدنا أنها لم تكن محل انكار ابتداء ، كما أنها لم تكن — عندهم — مشكلة يستهدفونها بمعالجة قاصدة مستقلة . على أنه يتشكل لها في كتبهم ، حين نستصنى ما فيها ، نسيج متكامل من غير وجه ، من تواعد صريحة يقررونها ، وأحكام ضمنية يصدرون عنها .

فإذا تقرينا صورة المسألة في كتبهم تكشفت لنا عن الملامح التالية :

— 1 —

تقع الحال مفردة منفية بـ « لا » ، ويغلب (6) — عند ذلك — تكريرها ، نحو : جاعني زيد لا راكباً ولا ماشياً ، ويندر أفرادها (7) ، نحو :

جاعني زيد لا راكباً . وجعل بعضهم تكريرها لازماً (8) وحمل أفرادها على الضرورة (9) ، كما في قوله :

تهرت المدى لا مستعينا بعصبة
ولكن بأنواع الخدائع والمكر (10)

— 2 —

تقع جبالاً جملة لا النافية للجنس (11) ، فإذا وقعت مؤكدة لضمون الجملة قبلها امتنعت فيها

وهذا التداخل مظهر من مظاهر تواصل القديم والحديث في مادة العربية . ولم اتعلق بتصنيف زمني حاد على هذا الصعيد ، لأن ذلك يفضي إلى تحكم وقسر يجانبان وضع العربية الخاص من هذه الجهة . إنما تعلقت بأن هذه الصور ، وأن ارتدت إلى نصوص قديمة ، ما تزال تحيا في هذا الاستعمال الجاري الذي يمثل مادة في بناء السليقة العربية ، ونماذج في تشكيل صورة العربية في نفوس أبنائها ، ولهذا ترخصت في رد النصوص إلى مصادرها الأولى .

واتسعت في الرقعة الزمانية للنصوص لسم اقتصر بها على عصور الاحتجاج ، لأنني أذهب إلى أن التركيب النحوي للعربية لا يكاد يختلف بين نصوص عصور الاحتجاج ونصوص العصر التالية (5) .

وإذا عرض في نصوص العينة ، عينة الاستعمال ، ما نسبته محل شك ، كـ بعض ما يُناقض لطارق بن زياد في خطبته ، فلاضير ؛ لأن ذلك يظل نصاً يحتذي على منوال نصيح مقبول في العربية ، ومثلاً مما يحيا في ألسنة أبناء العربية وآذانهم ، ويسهم في صياغة سلتانهم ، ويلقى لديهم قبولا من جهة أنهم لا ينكرون صحته في مقاييس العربية إذا ورد عليهم في بعض وجوه الاستعمال .

وقام منهج البحث ، بصورة أساسية ، على استخراج الأدلة من كتب النحو وكتب النصوص . واجتهدت ، بقدر ، أن أسهم في تشكيله بملاحظات بدت لي ، صدرت فيها عن أصول وانظار متعارفة في التحليل النحوي .

(5) أنظر في مؤنس بهذا : اللغة العربية بين الثبوت والتحول ، بحوليات الجامعة التونسية ، 1976 ، العدد 13 ، ص : 7 - 55 .

(6) شرح الكافية 183/1 .

(7) المرجع السابق 183/1 .

(8) الهمع 148/1 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عتيل 461/1 (حاشية 3) .

(9) الهمع 148/1 .

(10) المرجع السابق 148/1 .

(11) المرجع نفسه 246/1 وشرح الاشموني 257/1 وأوضح المسالك 104/2 ومذكرات في تواعد

اللغة العربية 153 والنحو الوافي 312/2 .

الواو (12) ، نحو « وهو الحق لا شك فيه » (13) ،
و (ذلك الكتاب لا ريب فيه) (14) ، و (الله يحكم
لا معقب لحكمه) (15) .

- 3 -

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية
فعلها مضارع منفي بـ « لا » . وهذه القاعدة
— عندهم أصل مؤصل يمدرون عنه كالبدييات
المسلم بها المقررة ضمنا . وذلك أنهم ينكرون — في
سياق تنصلي آخر — ان الحال تقع جملة فعلية
منفية بـ « لا » ، ويكون رابطها الضمير حسب ، فلما
وجد بعضهم انها تأتي رابطها الواو والضمير أولوا
ذلك على اضرار مبتدا تكون الجملة المنفية خبره .

« وقوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان ، بتخفيف
النون ، ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ، .. أول على
حذف المبتدا اي ، وانما لا تتبعان ، وانست لا
تسال ... » (16) .

- 4 -

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية
فعلها مضارع منفي بـ « ما » ، كقوله :

نصف النهار الماء غامره
وريقته بالغييب ما يدري (17)

- 5 -

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية
فعلها مضارع منفي بـ « لم » ، نحو قوله :
ولولا جناب الليل ما آب عامر
الى جعفر سرياله لم يمزق (18)

- 6 -

تقع الحال جملة منفية بـ « ليس » (19) .
كقوله :

نما بال النجوم مملكات
بقلب الصب ليس لها براح (20)

ويكثر في هذه الحال ان يكون رابطها الواو
والضمير (21) ، نحو قوله تعالى : « ولا تسموا الخبيد
منه تفتنون ولستم بأخديه » (22) ، ويقل ان يكون
الواو — وحده — رابطا ، كما في قوله :

دهم الشتاء ولست املك عدة (23)

12) شرح الاشموني 257/1 ووضح المسالك 104/2 .

13) المرجعان السابقتان في الموضوعين انفسهما .

14) البثيرة 2 .

15) الرعد 41

16) الهمع 246/1 . فان قال قائل : هذا رأى نازع فيه بعض النحويين وخالف فيه الولد اياه (شرح
الاشموني 257/1) وهو تحكم من عند النحويين ، قلنا : انما قررناه على هذا المستوى ، مستوى
القول به ضمنا عند النحويين او عند بعضهم . اما استطلاعنا في نصوص اللغة فأتت فيما بعد . وجددير
بالتذكرة ان هذا الموضوع كان محل انكار قاطع عند دننس Denz في محاورتي اياه بيونيخ ،
ايار 1979 .

17) الجملة حال من الضمير في (نَصَفَ) على النصب ، نصب النهار ، او الضمير في (غامره) على الرفع ،
رفع النهار ، شرح الاشموني 260/1 . والقول بالخبر في جملة « ما يدري » واضح الرجحان على
اعتبارها حالا من الضمير في فعل محذوف وجوبا يتعلق به الجار والمجرور (بالغييب) .

18) شرح الاشموني 258/1

19) شرح الكافية 194/1 والهمع 247/1

20) خزنة الادب 185/3

21) الهمع 246/1

22) البقرة 267

23) الهمع 246/1 . ووضح ان السيوطي التفت الى مبدأ الاحصاء — ولو على التقريب — في هذه الظاهرة .

و (مالى لا أجد جوابا) (32) و (هو الحق لا يشك فيه أحد) (33) و (ما أنتم لا تعلمون) (34) .
وقد يكون رابطها الواو حسب ، نحو : جاني
زيد ولا يركب عمرو (35) ، وقد يكون رابطها الواو والضمير ، نحو : جاني زيد ولا يركب غلامه (36) .

تقع الحال جملة اسمية منفية بـ « ما » ،
نحو :

فراينا ما بيننا من حاجز (24)

فاذا جاءت بالواو-أوثها بعضهم - كما تقدم -
على أضرار مبتدا ، وذلك كقراءة ابن فكيوان
(فاستقيما ولا تتبعان) (37) ، وقوله تعالى : (ولا
تسال عن أصحاب الجحيم) (38) ، وقوله :

تقع الحال - بلا خلاف - (25) جملة فعلية
نعلها مضارع منفي بـ « لا » (26) ، رابطها الضمير ،
نحو : جاني زيد لا يركب غلامه (27) ، و (وما لنا لا
نؤمن بالله) (28) ، و (مالى لا أرى الهدهد) (29) ،
وقوله :

اقادوا من دمي وتوعدوني
وكتت ولا ينهنهني الوعيد (39)

ولو أن قوما لارتفاع قبيلة
دخلوا البياء دخلتها لا أحجب (30)

وقوله :

وما أنشده ابن الاعرابي :

أكسبته الورق البيض أبا
ولقد كان ولا يدعى لاب (40)

وقائلة ما باله لا يزورها (31)

-
- (24) الهمع 1/246 .
(25) المفنى 270
(26) المنصل 29 وشرح الكافية 1/194 - 195 والمفنى 270 ، وأوضح المسالك 2/104 والتوضيح
والتكميل لشرح ابن عقيل 1/466 وشرح الاشموني 1/258 .
(27) شرح الكافية 1/194 .
(28) شرح الاشموني 1/257 والهمع 1/246
(29) شرح الاشموني 1/257 .
(30) المرجع السابق في الموضع السابق .
(31) خزنة الادب 3/185
(32) مخكرات في قواعد اللغة العربية 153 .
(33) النحو الوانى 2/312
(34) المرجع السابق 2/313 .
(35) شرح الكافية 1/194
(36) المرجع السابق في الموضع السابق ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 1/466
(37) على أن النون مخففة وإن (لا) نانية لا ناهية وانظر : شرح الاشموني 1/257 .
(38) الهمع 1/246 ، وتام الآية (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن أصحاب الجحيم) ،
البترة 119 .
(39) شرح الاشموني 1/257 .
(40) المرجع السابق في الموضع السابق .

أو الواو وانضمير جيعا (49) ، نحو قوله تعالى :
(أو قال أوحى إليّ ولم يؤحّ إليه شيء) ، وقبول
النافئة :

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ
« ما » (41) ، كتوله ،

سقط النّصيف ولم تردّ إسقاطه

فتأولته وأتقتنا باليد (50)

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة (42)

- 11 -

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ
« لآ » ، رابطها الواو (51) ، نحو قوله تعالى :
(أم حسبتم أن تتركوا ولآ يعلم) (52) ، وقوله عز
وجل : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولآ يعلم
الله) (53) .

وعند ذلك يكون رابطها الضمير ، وتمتنع فيها
الواو (43) ، واجازه بعضهم ، نحو : جاء زيد وما
يضجك (44) .

- 10 -

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ
« لم » (45) ، ويكون رابطها الضمير (46) ، نحو
قوله تعالى : (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم
يمسهم سوء) (47) ، وقول زهير :

- 12 -

تقع الحال جملة فعلية فعلها ماض منفى بـ
« ما » ، ويكون رابطها الضمير (54) ، نحو : جاعني
زيد ما ركب غلامه ، وجاء زيد ما درى كيف جاء ، أو
الواو (55) ، نحو : جاعني زيد وما ركب عمرو ، وجاء
زيد وما طلعت الشمس ، أو الواو والضمير معا (56) ،
نحو : جاعني زيد وما ركب غلامه ، وجاء زيد وما
قام أبوه .

كان فتات العيّن في كل منزل
نزلن به حبّ الفتّا لم يحطّ
أو الواو ، كتول عنبرة :

ولتبدّ خشيت بان أموت ولم يكن
للحرب دائرة على ابني ضمضم (48)

- (41) شرح الكافية 194/1 - 195 وأوضح المسالك 104/2 وشرح الأشموني 258/1 والهمع 247/1 .
(42) أوضح المسالك 104/2 .
(43) المرجع السابق في الموضوع السابق وشرح الأشموني 257/1 .
(44) الهمع 247/1 .
(45) شرح الكافية 194/1 - 195 والهمع 246/1 .
(46) التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 466/1 « وزعم ابن خروف أن المضارع المنفى بلم لا بد فيه من
الواو كان ضميرا أو لم يكن ورد بالسمع كآلية السالبة » الهمع 246/1 .
(47) آل عمران 174 .
(48) شرح الأشموني 259/1 .
(49) في النحو العربي : قواعد وتطبيق ص : 111 - 112 .
(50) شرح الأشموني 259/1 .
(51) شرح الأشموني 259/1 والهمع 247/1 . قال ابن مالك : « لم أجده إلا بالواو » . الهمع 247/1 .
(52) التوتية 16 .
(53) آل عمران 142 .
(54) شرح الكافية 194/1 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 466/1 والهمع 247/1 .
(55) المراجع الثلاثة السابقة في المواضع المذكورة أعينها .
(56) المراجع أنفسها في المواضع أنفسها .

قياسا على وتووع الخبر جملةً مصدريةً بها في حديث :
 نَظَّلَ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى (60) . ويقررون انه « لشبه
 الحال بالخبر والنعت جاز ان تتمدد » (61) وان
 « الاصل في الحال والخبر والصفة الإنراد ، وتقع
 الجملة موقع الحال ، كما تقع موقع الخبر
 والصفة » (62) وأنه « متى كان في الكلام فائدة فهو
 جائز في الحال ، كما جاز في الخبر » (63) . بل ان
 سيويه كان يعبر عن الحال بالخبر (64) .

تقع الحال ، قياسا ، جملة فعلية فعلها مضارع
 منفي بـ « إِنْ » . قال أبو حيان : لا أحفظه من كلام
 العرب ، والقياس يقتضى جوازه ، نحو : جاء زيد
 إِنْ يَدْرِي كَيْفَ الطَّرِيقِ ، قياسا على وتووعه خبرا
 في حديث : نَظَّلَ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى (57) .

ولكننا نجد للنحويين — مع ذلك — اشارات احصائية
 الى حجم بعض ظواهر الحال، وهي اشارات دالة على
 انهم احسوا بهذا البُعد ، بُعْدَ الكَمِّ في رُصْدِ الحال
 وضبط وجوهها . فمن ذلك انهم قرروا « ان مجيء
 الحال بعد (ما بال) أكثرى ... وقد وردت بعده على
 وجوه : منها . . . » مضارعية « منفية » ، كما انشده
 ابن الاعرابي :

وقائلة ما باله لا يزورها (65)

وانه ينذر افراد الحال بعد « لا » في نحو :
 جاعنى زيد لا راكبا (66) ، وأنه يكثر في جملة الحال
 المصدرية بليس ان يكون رابطها الواو والضمير ،
 ويقال فيها ان يكون الرابط الواو وحدها (67) ، وأن
 الاغلب في المضارع المنفي بـ « لا » الواقع حالا
 تجرُّده عن الواو (68) .

لا تقع الجملة المصدرية بـ « لسن » حالا (58)
 ولم يفضّل النحويون القول في وقوع الحال
 جملة اسمية خبرها منفي ، ولم يابهاوا ان يقرروه
 تقريرا مباشرا ؛ كما يرون ذلك من تحصيل
 الحاصل . فقد اثبتوا ان الحال تقع جملة اسمية (59) ،
 ولم يكن بهم حاجة الى تكرير القول في الاتحاء التي
 يأتي عليها خبر الجملة الاسمية ، ومنها ان يأتي
 جملة فعلية فعلها مضارع منفي بلا ، فاذا كنا نقول في
 خبر الجملة الاسمية : هم لا يشعرون ، امكن لنا ان
 نقول في الحال : تسلل العدو الى ديارهم وهم لا
 يشعرون وقد اسلفنا انهم ايقنوا بذلك وصدروا عنه .

وكثيرا ما حمل النحويون الحال على الخبر ،
 وقد تقدم بنا ان ابا حيان اجاز ان يقال : جاء زيد إِنْ
 يَدْرِي كَيْفَ الطَّرِيقِ ، بتصدير جملة الحال بان النافية .

(57) الهمع 247/1 .

(58) المرجع السابق 246/1 .

(59) انظر مثلا : المنفصل 29 .

(60) الهمع 247/1 .

(61) اوضح المسالك 96/2 .

(62) التوضيح والتكيد لشرح ابن عقيل 464/1 .

(63) الاصول في النحو 259/1 .

(64) في الكتاب (هارون) 49/2 : « هذا باب اجراء الصفة فيه على الاسم في بعض المواضع احسن
 وقد يستوي فيه اجراء الصفة على الاسم وان جعله خبرا فننصيه » . فاما ما استويا فيه فقوله :
 مررت برجل معه صقرٌ صائِدٌ به ، إن جعلته وصفا ، وإن لم تحمله على الرجل وحملته على
 الاسم المصنوع المعروف نصيبته نقلت : مررت برجل معه صقرٌ صائداً به . . . » .

(65) خزانة الادب 185/3 .

(66) شرح الكافية 183/1 .

(67) الهمع 246/1 .

(68) المرجع السابق 195/1 .

النفي الدلالي ومسألة « غير » في الحال

واستفتح مناقشى لوقوع غير حالا واستدلالى على أن ذلك وجه من النفي بالإلماع الى وقوع الحال نفيًا في الدلالة المنهومة منها (جاء منتبضا) أو من لفظ الخبر فيها حين يكون جملة اسمية (توليتم . . . وأنتم معرضون) . وقد يظهر أن القول في هذا الوجه من وجوه الحال حشو ، لأن كل لفظ ذي دلالة يقابل على الضد المستفاد من النفي لفظا آخر ذا دلالة ، بالضرورة . فاذا قلنا :

خرج (. . .) يائسا ، فان (يائسا) ، لا ريب ، قسيم (أملا) ، وهي تشتمل على نفيها . واذا قلنا : خرج (. . .) أملا ، كانت (أملا) — في دلالتها — نفسى (يائسا) ، وهذا تحصيل حاصل مفروغ منه ببداهة العقل وعفو السليقة .

ولسنا نتمسك ، كذلك ، بأمثلة الحال التى يقع النفي الدلالي فيها على وجه مخالفة الاصل الغالب في حقيقة الظاهرة في الحياة ، كما في قوله تعالى : (ثم توليتم وأنتم معرضون) (69) ، وقوله عز وجل : (تفادوهم وهو محرم عليكم اخرجهم) (70) ، وقوله عز شأنه (وماتوا وهم كفار) (71) ، باعتبار الاصل في الفطرة وسنن الحياة : الاقبال ، والتحليل ، والايان ، واعتبار (الاعراض ، والتحرير ، والكفر) فروعا ينتضى بها الاصل .

ولكن هذه المسألة التى تُفري بها معطيات عقائد ثقافية خاصة قد لا يستقيم فيها التسلسل على هذا النحو عند اعتبارها في سياق ثقافات أخرى .

أما وقوع (غير) حالا — وهو من الشيعوع بالمكان المتعارف غير المذكور شهرة (72) — فيفارق النفي الدلالي المتقدم بصورة أساسية ، ويتجاوز الافتراق ما يستفاد به « غير » على مستوى الدلالة ، الى وجوه استعمالها على مستوى التركيب في النحو .

أما ما يستفاد بها على مستوى الدلالة فمعروف . وإذا تمسكنا بأنها تقابل الإثبات في مثل قوله تعالى : (. . . . والرمان مشتبهها وغير متشابهه) (73) ، و (والرمان متشابهها وغير متشابهه) (74) ، وقول محمود شاعر : « . . . فالآن ، مريدا أو غير مريد ، يجد نفسه لسانا ناطقا في « دولة الخدم » » (75) ، وهذا باب مستفيض ، فان الفاظ الاضداد — على مستوى الدلالة — تتقابل كذلك . ومن تقابلها في الحال قول محمود شاعر : « صرحت بذكر اسمه مطيعا لما يرضيني ، عاصيا لما يرضيه » (76) . ولعل هذا هو الحد الذي لحظه وتوقف عنده من اخرج (غير) أن تكون دليلا في وقوع الحال نفيًا .

لكنى أجد في استعمال (غير) حالا دليلا من النحو تفارق عنده الفاظ الاضداد مفارقة حاسمة . وذلك أنه يكثر في استعمالها حالا أن يُعطف على مخوضها بالواو و « لا » . ومن أمثلة ذلك :

في التنزيل : (مَن أَضْطَرَّ غَيْرَ بَالِغٍ وَلَا عَادٍ) (77) ، (إذا آتيتوهنَّ أجورهنَّ محصنين غير مسامحين ولا

(69) البقرة 83 .

(70) البقرة 85 .

(71) البقرة 160 .

(72) انظر في طائفة من استعمالاته في شطر من نص واحد : زقاق المدق 147 — 154 — 158 —

164 — 204 — 218 .

(73) الاتصام 99 .

(74) الاتصام 141 .

(75) المتنبي 79/1 .

(76) المتنبي 8/1 .

(77) البقرة 172 .

أمركم في الحالة التي لا تعملون فيها ؟ وهو مثل الآية الكريمة : (وما لنا لا نؤمن بالله ...) التقدير : ما لنا غير مؤمنين ؟ ما أمرنا وما شأنا في الحالة التي نكون فيها غير مؤمنين ؟ « (85) .

وهذا الدليل المتقدم من اقتران « لا » النافية بالواو في سياق (غير) يفضى بنا الى ظن قوي أن (غير) تجاوزت مستوى النفي دلالة الى مستوى من النفي قريب من وسائله في حيز النحو وذلك أنه اذا قال قائل ان النحويين كثيرا ما يحملون على المعنى في احكامهم ، قلنا ان لغير امتيازها خاصا على هذا الصعيد . فنحن نستطيع ان نقول :

نَفَذَ خَطَّتَهُ غَيْرَ مُطِيعٍ لِلْأَمْرِ وَلَا آيَهَا بِهَا

ولكننا لا نستطيع ان نقول :

نَفَذَ خَطَّتَهُ عَاصِيَا لِلْأَمْرِ وَلَا آيَهَا بِهَا

فَنَفَّرْنَا الْوَاوَ بِلَا فِي سِيَاقٍ (غير) ولا نقرنها بها في سياق لفظ دلالاته مساوية لغير ومجرورها . ويضيق المقام عن الامثلة توضع استدلالا على هذه المسألة .

وجوه الحال المنفية في النصوص

ويستوي للحال المنفية ، خلاف غير ، على صعيد النصوص ، وضع ظاهرة نحوية قائمة تتخذ وجوها وانحاء متنوعة ، تتفاوت في درجة شيوعها وامتدادها . وتتكشف العينة المستقرأة من نصوص العربية عن الوجوه التالية في استعمال الحال نفيا . ولعله يسوغ لنا ما نستقصى من عرض شواهد كل

متخذى اخذان) (78) .

وفي التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح : (...) فاذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا تلبسهما) (79) .

وفي لامية المعجم :

ناببر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر ما يقنى عن الحيل (80)

وفي المثني لعمود شاعر (الا ان عجزى انا عن مواجهته بلساني غير متهيب ولا متدب ، كان يهدم نفسى هدا) (81) ، وفيه ايضا :

(وخرجت غير مودع ولا مبال بشيء) (82) .

ويبين ان واو العطف على مجرور (غير) قد اقترنت بـ (لا) ، وهذا انما يكون اذا سبقته (الواو) بنفى « (83) ، وعلى هذا نسر النحويون اقتران الواو الماطفة بلا النافية في قوله تعالى : (ولا الضالين) بل انه يرجع على قوله عز وجل (غير المغضوب عليهم) وبان « في غير معنى النفي » (84) .

وقد اصبح ملحظ النفي في (غير) منطلقا نسي للتاويل النحوي تتوضح به وجوه مؤسسة في النفي كالنفي بلا . ومن ذلك ان عباس حسن مثل لجملة الحال حين تكون مضارعية مسبوقه بحرف النفي « لا » ، بهذا المثال : ما اتمم لا تعلمون ؟ ، وعلق على المثال قائلا : « ومثل هذا التركيب يتضح ويؤول ما قد يكون فيه من غموض اذا عرفنا ان « لا » النافية تنسدر فيه بكلمة : « غير » المنصوبة على الحال المضافة ، وأن المضارع بعدها يتقدر باسم فاعل ، هو : « المضاف اليه » ، اي : ما اتمم غير عاملين ؟ اي : ما اتمم وما

(78) المائة 5 وانظر في استعمال آخر مطابق : النساء 25 .

(79) 67/1 .

(80) المختارات السائرة 109 .

(81) 24/1 .

(82) المرجع السابق 23/1 وانظر في مثال آخر مماثل : المرجع نفسه 26/1 .

(83) المغنى 392 - 393 .

(84) المصدر السابق في الموضوع السابق

(85) النحو الوافي 313/2 حاشية 2 .

وجه وامثلته أن غاية البحث الرئيسة هي الاستدلال على وجود الظاهرة في العربية بتواتر يخرجها من حد الندرة إلى باب الكثرة !

- 1 -

تقع الحال مفردة منفية بـ « لا » .
ومن نلّسك :

— قول محمود شاعر : « وفارقها إلى الشام
لا علويا يطالب باظهار نسبه فحسب ، بل فتسى
عريبا ثائرا منكرا للذي رآه في بغداد .. » (86) .

— وقول فدوى طوقان :
لقيته لا حلها انما
حقيقة ساطعة باهرة (87)

— وقول شوقي :

ذرونى وشأنى والوعى لا مباليا
إلى الموت أمشى أم إلى الموت أركب (88)

— وقول نجيب محفوظ :

« .. يخرج من شدته ببعض المال .. لا صر
البيديس » (89) .

— وقول قائل معاصر في إحدى المائيل
العامة : « .. أنه اعتداء على إنسانية الإنسان من
حيث هو إنسان ومحو خصائصه الذاتية التي بها
يعيش إنسانا لا حيوانا يأكل ويشرب فحسب » (90) .

(86) المتنبي 88/1 .

(87) وجدتها 106 .

(88) المختارات السائرة 63 . وواضح أن هذا في تأويل : لا مباليا كيف أموت ، أو : لا مباليا متى أموت .

وواضح أن ما قد يذهب إليه ذاهب من أن (لا مباليا) مفعول ثان لـ (ذر) غير حاسم . والحالية

فيها — على كل حال — وجه . وهو — عندي — أرجح من المفعول الثاني .

(89) زقاق المدق 56 .

(90) أجوال التربية والتعليم في الأراضي المحتلة ص ، هـ

(91) البقرة 2

(92) البخلاء 23

(93) نقداً عابر ص 51 . مع التجاوز عن الضرورة في (درية) إذ يقتضى الوزن تنوينها ، وعن مستوى

التمبير جملة ، وواضح أن الضمير مقدر في خبر (لا) المحذوف .

ولا ريب أن هذه امثلة حال مفردة منفية بتقطع النظر عن اقتضاها تعقياً يكون به تمام الإفادة كما في المثالين الأولين ، أو وقوعها عبارة منطوية كما في بيت شوقي ، أو وقوعها ثانية معطوفة بلا النافية كما في المثالين الآخرين .

ولا ريب أن وقوع الحال مفردة منفية ما يزال يدخل في حد الندرة . فهل يكونون استغنوا بـ (غير) عن (لا) في الحال المفردة ؟ ذلك أننا إذا احتكنا إلى الشكل قلنا أن الحال المفردة تقع منفية بـ (لا) ، سيان في ذلك انفرادها وتكريرها . فإذا تحفظ متحفظ بأنه حين تتكرر (لا) يتحصل معنى خاص لا هو نفي الأول ولا هو نفي الثاني ، إنما هو بين بين ، قلنا : لعل (غير) إذن قد أفادت معنى النفي في الحال المفردة فاستغنوا بها عن (لا) .

- 2 -

تأتي جملة لا النافية للجنس حالا ، ويكون رابطها الضمير وحده ، ملفوظا أو مقدرا .

ومن نلّسك :

— قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (91) .

— وقول الجاحظ : « .. ثم لا يزال أحدهم يسأل من الخيط القطيعة بعد القطيعة ، حتى يبقى الحبل لا شيء فيه » (92)

— وقول نجيب محفوظ : « . . . فانقلبست
(حميدة) ولا هم لها إلا الإستئثار به » (100) .

— وقول فدوى طوقان :
وبقيت التمس المراء
من الشقاء
ولا مفر (101)

فإذا قام في نفس أحد أن الواو تمتنع في جملة
لا النافية للجنس عند النحويين قلنا : هذا إنما يكون
عندهم في الحال المؤكدة لضمون الجملة قبلها .
وليست الأمثلة المتقدمة أمثلة حال مؤكدة . وكان
النحويين لم يعنوا بتقرير هذه المسألة أي وقوع لا
النافية للجنس حالا مبينة يكون رابطها الواو ؛ لأنهم
يروون ذلك مفهوما ضمنا أو يمتدونه تحصيل حاصل .

— 4 —

تأتي الحال جملة أسمية منفية بما ، رابطها
الواو والضمير ، أو الواو حسب ومن ذلك :

— قوله تعالى : (. . . أولئك لهم عذاب اليم
وما لهم من ناصرين) (102) .

— وقوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا
بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) (103) .
— وقول المرار الفقمسي :

— وقول أديب الخوري الشرتوني :
ولدت عريانا عديم القوى
لا درية ، لا عقل بالمرّة (93)

— وقول فدوى طوقان :
دعنى
سأبتى هكذا
لأنور
لا غد

لا رجاء (94)

— وقول إميل حبيبي : « فما بالي اظل قاعدا على
هذا الخازوق ، تحزمتي البردية ثم تنشرني لا ستر ولا
ظهر ولا أنيس . . . ؟ » (95) .

— 3 —

تأتي جملة لا النافية للجنس حالا . ويكون من
رابطها الواو (96) ،
ومن ذلك :

— فنول حافظ :

فلم نزل وصروفُ الدهر ترمقنا
شزرا وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاه (97) ولا نسب
ولا صديق ولا خيل يواسينا (98)

— وقول أحمد أمين : « ويبكى الاطلال ولا اطلال ،
ويحنّ الى سلع ولا سلع ، ويستطيب الخزامى
والعرار ولا خزامى لدينا ولا عرار » (99) .

94) وجدتها ص 129 والضمير مقدر في خبر « لا » المحذوف ، وأنظر مثلا آخر فيه ص 148 — 149 .

95) الوقائع الغريبة ص 153 ، والضمير مقدر في خبر « لا » المحذوف .

96) وهي واو الحال أو واو الابتداء ، وآيتها صحة ووقوع « إذ » موقعا ، كتاب سيبويه 90/1

والمنتضب 66/2 ، 263/3 ، 125/4 والهمع 247/1 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 464/1

وشرح الأسموني 258/1 وأمالى ابن السجري 277/2 .

97) واضح أنها « لا » النافية للجنس البغيت ضرورة

98) المختارات السائرة ص 112 .

99) نبيض خاطر 9/10

100) زقاق البدق ص 213

101) وجدتها ص 135

102) آل عمران 91 . وأنظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 150/1 — 151 .

103) البقرة 8

وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات الا ما
تستخلصون من ايدي عدوكم « (110) .

- 6 -

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية
منفية بـ « لم » ، ومن ذلك :

- قول حافظ ابراهيم :
- القى القيادة الى الجراح ممثلا
وعزة النفس لم تجرح حواشيها (111)
- وقول اميل حبيبي : « فقلت في نفسي : اذا
استطاعوا ذلك فكيف لا استطيعه وسري
لم يجاوز الاثني ؛ باقية وانا ؟ » (112)

- 7 -

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية فعلها
ماض منفي بـ « ما » .
ومن ذلك :

- قول شوقي :
- سيقتضى (كرزُن) بالامر عتسا
وحاجات (الكنانة) ما قضينا (113)

- 8 -

تقع الحال ، على كثرة ، جملة اسمية خبرها
جملة فعلية منفية بـ « لا » .

يبيّر الدليل بها خيفة
وما بكأبيه من خفاء (104)

- وقول ابي فراس :
ايزرت وما محبي بعزل لدى الوفي
ولا فرسي مهر ولا ربه غمر (105)

- وقول المتنبي :
وقفت وما في الصوت شك لو اتف
كلتك في جنن الردي وهو نائم (106)

- وقول انيس المتدسي :
حتام تزيع فوق آثار ققت
والدهر يدعونا الى نعم الفساد
مترمين وما لنا من حافز
متسكمين وما لنا من مزيد (107)

- وقول فدوى طوقان :
واجري واجري وما في يدي
سوى الوهم شيء (108)

- وقول الطبيب صالح : « سالته وانا على تلك
الحالة ، وما بي حاجة الى سؤال : « انت
شيطان ام انسان ؟ » (109) .

- 5 -

تقع الحال جملة اسمية خبرها جملة لا النافية
للجنس ، ومن ذلك :

- قول طارق بن زياد (!) : « وقد استقبلكم
عدوكم ببجيشه ، واسلحته واتواته موفورة ،

(104) الوحشيات من 53 .

(105) المختارات السائرة ص 104 .

(106) المختارات السائرة ص 61 ، ولعله قام مقام الضمير ، رابطا ، ذكر « واقف » ، اذ ترد الى فاعل
« وقفت » .

(107) المرجع السابق ص 163 .

(108) وجدتها ص 144 وانظر مثالين آخرين في المرجع نفسه ص 143 ، 145 .

(109) بندر شاه ضو البيت ص 102 .

(110) المختارات السائرة ص 257 .

(111) المختارات السائرة ص 66 .

(112) الودائع الغربية ص 114 .

(113) المختارات السائرة ص 168 .

- ومن نلـك :
 — قوله تعالى :
 (يوف اليكم وانتم لا تعلمون) (114)
 — وقوله تعالى : (. . . ثم توفى كل نفس ما كسبت
 وهم لا يعلمون) (115) .
 — وقوله تعالى : (. . . فيأتيهم بغفلة وهم لا
 يشعرون) (116) .
 — وقوله تعالى : (قالت نملـة يا ايها النمل
 ادخلوا مساكنكم لا يحطنكم سليمان وجنوده
 وهم لا يشعرون) (117) .
 — وقوله تعالى : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم
 لا يشعرون) (118) .
 — وقول البديع : « فوليت ظهري الارض ،
 وعيـاي لا يملـكها غمض » (119) .
 — وقول العمري : « . . . فلم ازل اتبع الاوزان
 التي يمكن ان يوسم بها رضوان حنـى
 افضيتها وانا لا اجد عنده مغفلة . . . » (120)
 — وقول انيس المقدسى : « وما الجامعات
 وانكليات التي تملـنا بروح الاحتقار لها هو
- فيـنا الا سم نافع يجري في عروقنا ونحن لا
 نشعر . . . » (121) .
 — وقول مارون عبود : « أما سيد المجددين في
 نظري فهو عزرائيل ، انه يجدد الناس غصبا
 عن رقتهم ، ولعله شاعر أكبر ونحن لا
 ندري » (122) .
 — وقول نجيب محفوظ : « ووشى وجهها
 بابشامة وهي لا تدري » (123) .
 — وقول الماوردي : « . . . وكذلك الدنيا تودعك
 وتهرب عنك وانت غافل لا تخبر وذاهل لا
 تشعر » (124) .
 — وقول الطيب صالح : « أما ان نزوجه ابنتنا
 ونحن لا نعلم عنه لا قليلا ولا كثير (125) . . . »
 (126) .
 — وقول تشيخوف مترجما : « . . . خرجت الى
 ردهة المدخل وانا لا افكر في شيء » . (127)
 — وقول صحافى يستظهر نصا من السيرة :
 « . . . فاسلم (نعيم من مسعود) وقومه لا
 يعلمون » (128) .

- (114) البقرة 272 . وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 115/1 .
 (115) البقرة 281
 (116) الشعراء 202
 (117) النمل 18
 (118) النمل 50 . ومن نظائر هذا في التنزيل : القصص 8 ، 9 ، 11 والحجرات 2 ، والاعراف 95
 ويوسف 15 ، 107 ، والزمزم 55 ، والزخرف 66 والعنكبوت 53 ، وآل عمران 25 ، 161 .
 (119) شرح مقامات بديع الزمان ص 49
 (120) المختارات السائرة ص 219 .
 (121) المختارات السائرة ص 276 .
 (122) نقداً عابري ص 9 وانظر مثالا آخر ص 33
 (123) زقاق المدق ص 152 وانظر نظائر له ص 155 ، 157 ، 189 ، 218 ، 236 ، 179 ، 215 ، 216 ،
 230 ، 31 ، 80 ، 91 ، 113 ، 41 ، 42 ، 43 ، 111 ، 72 ، 91 ، 132 ، 60 .
 (124) أسس التقدم (عن ادب الدنيا والدين) ص 69 .
 (125) كذا ! ولعله وقف على النون المنصوب بلا الف على لغة ربيعة .
 (126) بندر شاه ضو البيت ص 117 ، وانظر مثله في المرجع نفسه ص 97 ، 47 .
 (127) السيدة صاحبة الكلب ص 196 ، وانظر مثالين آخرين فيه ص 268 ، 273 .
 (128) جريدة الدستور ، العدد 4314 .

- وللجاحظ : « .. ماذا أبردنا تفرقتنا ، والا فهو الموت ليس دونه شيء » (135) .
- ولإلياس مياض :
فأتام الأيام في خير ما
يرغب فيه من نعمة ورخصاء
ليس (136) يدري المضيف من هو
ولم يسأله عن ذلك، عادة الكرماء (137)

- تتع الحال جملة منفية بـ « ليس » ، ويكون رابطها الواو والضمير جميعا ،
ومن ذلك :
- قول جابر بن عبد الله : « أَهْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِالْحَجِّ وَلَيْسَ مَعَ أَحَدٍ مِنْهُمْ هَدْيٌ غَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلْحَةَ .. » (138) .
- وقول أبي الخطَّار الكلبِيِّ :
وقبناكم حرَّ القتا بنفوسنا
وليس لكم خيل سوانا ولا رَجُلُ (139)
- وقول أبي تمام :
وما كان إلا مال من قل مالهِ
ونخرا لمن أمسى وليس له نخر (140)

- تتع الحال جملة منفية بـ « ليس » ، ويكون رابطها الضمير حسب .
ومن ذلك :
- في التزويل : (.. ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت ..) (129) .
- وفي الحديث : (.. فانطلقنا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة) (130) .
- وفيه أيضا : (.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلى احدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه شيء) (131) .
- وفيه كذلك : (هل تُمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سبحانه ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله ، قال : فهل تُمارون في الشمس ليس دونها سبحانه ؟ ..) (132)
- وفيه خامسا : (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُرْغَةٌ كَحَمِّ) 133 .
- ولأبى العتاهية :
وانك يا زمان لذو صروف
وانك يا زمان لذو انتقلااب
فما لى لست احلب منك شطرا
فأحمد منك عاقبة الحلاب (134)

-
- (129) النساء 176 .
 - (130) التجريد الصريح 21/1 .
 - (131) المصدر السابق 37/1 .
 - (132) المصدر نفسه 65/1 .
 - (133) المصدر نفسه 102/1 .
 - (134) المختارات السائرة ص 177 ، 178 .
 - (135) البلاء ص 38 .
 - (136) معروف أن للنحويين في (ليس) هنا مذهبين : الأول أن تكون على حالها في نفي الحال والدخول على الجملة الاسمية وأن يكون اسمها ضمير شأن مخذوما والثاني أن تكون نافية حسب ، تقوم مقام لا .
 - (137) المختارات السائرة ص 197 .
 - (138) التجريد الصريح 111/1 .
 - (139) الوحشيات 42 .
 - (140) المختارات السائرة 76 .

— وعن الإغناسي :

« .. قال : فمتى كنت في هذه المدينة ؟ »

قلت : دخلتها أتفا وليس لي بها منزل ولا معرفة وليست صناعتى من الصنائع التى يُبْت بها إلى أهل الخير » (141) .

— وعن الماوردي : « يتبهرج بالصلحاء وليس منهم » (142) .

— 11 —

تقع الحال جملة فعلية منفية بلا ، رابطها الضمير بلا واو . وهذا أوسع وجوها دوراناً وأكثرها تواتراً .

ونجترىء بإيراد بعض الأمثلة ، وندل على مواضع سائرها في الحواشى .

— في التنزيل : (وما لكم لا تقايلون في سبيل الله ؟) (143) .

— (..... احصروا في سبيل الله لا يستطيون ضرباً في الأرض) (144) .

— (..... والله أخرجكم من بطون أمهاتكم

لا تطعون شيئا) (145) .

..... (146)

— وفي الاثر : — عن عائشة رضى الله عنها قالت ان قوما قالوا يا رسول الله ان قوما يأتوننا باللحم لا ندري اذكروا اسم الله عليه ام لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سموا الله عليه وكلوه (147) .

— وفيه أيضا : — عن ابي هريرة رضى الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار لا يكلمنى ولا أكله (148) (149)

— وفي الوحشيات :

تركناهم لا يستحلون بعدها لذي رحم يوما من الناس محرما (150)

— ولأبي القحافة :

ايا دنياي ما لى لا أراى
أسومك منزلا الا نبا بى

وما لى لا ألح عليك الا
بعفت ألهم لى من كسل باب (151)

(141) المرجع السابق 273 .

(142) أسس التقدم 55 .

(143) النساء 75 .

(144) البقرة 273 . وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 115/1 .

(145) النحل 78 .

(146) انظر في نظائر هذا من التنزيل : البقرة 136 ، 162 ، 274 ، 17 ، آل عمران 87 ، 88 ، النساء 98 ،

وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن 204/1 ، النساء 75 ، وانظر في اعتبارها حالا :

مشكل اعراب القرآن 197/1 ، والمائدة 84 ، وانظر في اعتبارها حالا : مشكل اعراب القرآن

242/1 ، والنمل 20 ، والصفات 25 ، وص 62 ، والحديد 8 ، وانظر في اعتبار هذه المواضع الثلاثة

الاخيرة احوالا : مشكل اعراب القرآن 235/2 ، 253/2 ، 254 ، 357/2 على الترتيب .

(147) التجريد الصريح 129/1 .

(148) المصدر السابق 131/1 .

(149) انظر في أمثلة (شواهد) اخرى : التجريد الصريح 16/1 ، 26 ، 29 .

(150) 67 مع ترجيح الحال على المفعول الثانى !

(151) المختارات السائرة 177 ، 178 .

- ولشيلي ملاط :
وتلاحقت اصحاب رافع بعدها
لا تستقر على ربي ووهاد (161)
- ولأديب اسحق : « فهلّم نشد الضالّة ،
ونطلب المنهوب ، لا تقوم في ذلك بأمر فئنة
دون فئنة ، ولا تتعصّب لمذهب دون
مذهب » (162) .
- ولحافظ ابراهيم :
عهديك لا تبكي وتنكسر أن يُرى
أخو الباس في بعض المواطن باكيا (163)
- ولأحمد امين : « فما بالنا لا نثبتته في
معاجمنا ؟ » (164)
- وله ايضا : « .. لأن الشاعر فيها يغنى
لنفسه ، ويرضى عاطفة تجيش بمصدره لا
يتطلب من أجل ذلك جزاء ولا شكورا » (165)
..... (166)
- وللزيات : « عاد حافظ كما كان يضطرب في
الحياة النابية البهيمه ، لا يستريض لعمل ، ولا
يستقر على امر ، ولا يتشوق الى
غاية (167) .
..... (168)

- وفي البخلاء : « .. ضمنت لي الخلف ، فانفتت
على عيتك ، وأنا اليوم مذ كذا وكذا سنة
انتظر ما وعدت ، لا ارى منه قليلا ولا
كثيرا » (152) .
- وعن الاغانى : فبقيت لا ادري أين اتوجه
ولا من اتمد (153) .
- وللمتنبي :
فأمسك لا يطال له فيرعى
ولا هو في العليق ولا اللجام (154)
- وللحاتي : « فمعبّر هنيهة ثانيا عطفه ، لا
يعيرني طرفه » (155)
- وللبيديع : « وبقيت وحدي ، لا اجد من
يشدّ يدي » (156) .
..... (157)
- وللعمري :
من ساءه سبب او هاله عجب
فلي ثمانون عاما لا ارى عجبا (158)
- ولأسامة بن منقذ :
وأسمى الى الهيجاء لا ارهب الردى
ولا اتخشى فارسا ومهندا (159)
..... (160)

- 27 (152)
المختارات السائرة 273 . (153)
المختارات السائرة ص 149 (154)
المرجع السابق ص 215 (155)
شرح مقامات بديع الزمان ص 44 . (156)
انظر امثلة اخرى في شرح مقامات البديع ص 145 ، 159 ، 177 . (157)
المختارات السائرة ص 187 . (158)
فيض الخاطر 99/10 (159)
انظر مثلا آخر لاسامة في فيض الخاطر 99/10 ايضا . (160)
المختارات السائرة ص 71 (161)
المرجع السابق ص 261 . (162)
المرجع نفسه ص 92 . (163)
فيض الخاطر 34/10 (164)
المصدر السابق 70/10 (165)
انظر في امثلة اخرى لاحمد امين : فيض الخاطر 72/10 ، 80 (166)
المختارات السائرة ص 241 (167)
انظر في امثلة اخرى للزيات : المختارات السائرة ص 242 ، 241 . (168)

- ولمارون عبود : « سندیانة من هذه
السندیانات التي تفتح زنودها لمئات
المصامير الزائرة لا تبخل على واحدة
بخيبة ظل .. او سرير ورق اخضر » (169)
- ولمحمود شاکر : « ولكنی بقيت زما لا
استطيع ان اتكلم » (170) .
- ولنجيب محفوظ : « وعدًا لا يلوي على
شيء » (171) .
- وله ايضا : « ما بال الناس لا يريحون ولا
يستريحون ؟ » (172) .
- وله كذلك : « ثم مضى الى الازمة والحواري
المحيطة بالجامع الكبير لا يفلت منه شحاذ
واحد » (173) .
- وللطبيب صالح : « تنازل عن كل شيء ،
لا يطلب لابنته صدقاتا مقدما ولا
مؤخرا » (175)
- ولمظفر النواب :
بواجه ذبيبة هذا العالم
- لا يحمل سكيناً (177)
.. .. . (178)
- ولإميل حبيبي : « نافع بالمقارنة .. لا
أستط سوى ما تكرر » (179)
.. .. . (180)
- ولفدوى طوقان :
- وسرت شيئا ميت الروح لا
أبحث عن شيء (181)
.. .. . (182)
- بل استقرت الحال على صور من الجلوسة
النفلية البنفية بـ « لا » ، اتخذت هيئة الائمساط
أو الرواسم في الاستعمال حتى غدا مستهجننا أن تتع
الحال منها مثبتة . ومن امثلة هذه الظاهرة الخاصة :
- في البلاء : « .. رآه جبل واجما لا يحير
كلمة » (183)
- وفي زقاق المدق : « من العسير ان يعيش
الانسان موزع النفس مضطرب الارادة لا
يقر له قرار » (184) .

- (169) نقداً عابر ص 70
(170) المتنبى 18/1 وانظر مثالا آخر له في المصدر نفسه 22/1 .
(171) زقاق المدق ص 85 .
(172) المصدر السابق ص 81 .
(173) المصدر نفسه ص 51
(174) انظر في امثلة اخرى : زقاق المدق 64 ، 135 ، 136 ، 141 ، 96 ، 218 ، 235 ، 166 ، 147 ،
160 ، 236 ، 63 ، 45 ، 19 ، 92 ، 99 ، 135 ، 169 ، 212 .
(175) بندرشاه ضو البيت ص 130 .
(176) انظر امثلة اخرى في المصدر نفسه 65 ، 3 - 134 .
(177) وتريات ليلية ص 51
(178) انظر امثلة اخرى في الوترينات ص 89 ، 1 - 112 .
(179) الوقائع الغريبة ص 95
(180) انظر امثلة اخرى في الوقائع ص 62 ، 68 ، 75 ، 177 ، 181 ، 141
(181) وجدتها ص 104
(182) انظر امثلة اخرى في المصدر المتقدم 34 ، 109 - 110 ، 196 .
(183) 39 . وجبل ، هنا ، علم رجل ، وراى ، كما ترى ، بصرية .
(184) 113

— ولغديوى طوتان :

وقلت : نسيتِ هواي
عرفت هناك سواي
تمرّ دهور ولا تكتبين
ولا تسألين (192)

— وإميل حبيبي : « فما بالى اظل قاعدا على
هذا الخازوق ، تحزمنى البردية ثم تنشرنى
لاستر ولا ظهر ولا انيس ، ولا انزل ؟ » (193)
• (194)

— 13 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى —
« ما » ، رابطها الضمير .
ومن ذلك :

— فى الاثر : « .. كنت اصلى بهم صلاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما أخـبرم
عنها .. » (195) .

— وفيه ايضا : « جلس (..) جامدا ، رابط
الجاش ، لا بيالى شيئا » (185) .

— وفيه كذلك : « وغادرت الشقة لا تعباً
شيئا فى الوجود » (186)
• (187)

— 12 —

تقع الحال جملة فعلية منفية بـ « لا » ، رابطها
الواو (188) .

ومن ذلك :

— عن الاغانى : « .. ونزلت من السرير ولا
أدرى اين أقصد .. » (189) .

— ولهارون عبود : « شَبَقَ عَلَيَّ كثيرا ان تذهب
ولا اودعك ، ولا القى نظرة على تابوت
المهد » (190) .

— ولنجيب محفوظ : « .. الواحد منا يشتري
حُقّ (الفازلين) ولا يدري ايكون لشعره او
لشعر ورتته » (191) .

185 (188)

186 (135)

187 انظر امثلة اخرى لهذه الظاهرة فى زقاق المدق : ص : 19 ، 85 ، 92 ، 218

188 تقدم ان فى هذه المسألة خلافا بين النحويين ؛ اذ كان منهم من تمسك بان الواو تمتنع هنا وان هذه
الامثلة مؤولة على حذف المبتدا . ويتنازعنا فى هذه الامثلة خاطران ، يفرينا بالاول تواتر الامثلة على
هذه الظاهرة بالواو وانه يستقيم لنا اعتبار الواو حالية باية انه يمكن لنا ان نقيم « اذ » مقامها
ولا نحتاج الى تقدير محذوف ، واذن تستوي لها قاعدة مستقلة خاصة كما اثبتنا فوق ، ويفرينا
بالثانى ان افتراض مبتدا محذوف يمثل مبدءا نظريا مستقيا يرد الظواهر المتعددة الى اصل متحد من
جهة ويشير ضمنا الى ان وقوع الحال جملة اسمية خيرها جملة فعلية منفية كان اصلا ثابتا عند النحويين .

189 المختارات السائرة ص 275

190 نقذات عابر ص 33

191 زقاق المدق ص 182

192 وجدتها ص : 93 .

193 الوقائع الغريبة ص 153

194 انظر مثلا آخر فى الوقائع الغريبة 121 ولا حاجة بنا الى ايراد شواهد النحويين على هذه المسألة ؛
فقد تقدمت .

195 التجريد الصريح 62/1

الله عنه فقال (!) إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة ، أصلى كيف رايت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي « (200) .

وفيه : «... فرفع يديه وما نرى في السماء قرعة» (201) .

وفيه : «... فرجعنا وما نرى في السماء قرعة» (202) .

وعن الأغانى : « فاصبحت يوما وما أملك إلا ثلاثة دراهم » (203) .

— ولابن زيدون :

وقد نكون وما يخشى تفرقتنا
فاليوم نحن وما يُرجى تلاقينا (204)

— 15 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ
« لم » رابطها الضمير حسب (205) ،
ومن ذلك (206) :

— وفيه : « عن عائشة رضی الله عنها قالت :
لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات
مقلعات في مروطن ثم يرجعن الى بيوتهن ما
يعرفهن أحد » (196) .

— في النثر الحديث : « طلعت (المدينة) وأنا
ابكى ما اعرف على ايش ولأيش » (197) .

— وفيه : « (صحبت) من النوم وأنا ابكى
الدموع الغزار ، ما اعرف لأيش وعلى
ايش » (198) .

— 14 —

تقع الحال جملة فعلية فعلها مضارع منفى بـ
« ما » ، رابطها الضمير والواو (199) ، أو الواو
وحدها ،

ومن ذلك :

— في الاثر : « عن مالك بن الحويرث رضی

(196) المصدر السابق 39/1

(197) بندرشاه ضو البيت 67

(198) المصدر السابق 68

وواضح أن استشهدنا بهذين التفسيرين وأضرابهما إنما هو لأن تركيبهما النحوي يجري على مقاييس العربية ، لاهم أن تكون تحرف بعض الابنية أو تأخذ بوجوه تحت غلبت عليها العامة .

(199) وعلى هذا فلا وجه لقوله في شرح الكافية 195/1 : « .. وإذا انتقى المضارع بلفظ (ما) لم يدخله الواو .. »

(200) التجريد الصريح 58/1

(201) التجريد الصريح 72/1

(202) المصدر السابق 127/1

(203) المختارات السائرة ص 272

(204) المرجع السابق ص 125

(205) زعم ابن خروف أن المضارع المنفى بـ « لم » لا بد فيه من الواو كان مع الضمير أولا ، ولعل ذلك لأن نحو (لم يضرب) ماض معنى كضرب فكما أن (ضرب) لمتناقضته الحال ظاهرا احتاج الى قد المقررة له من الحال لفظا أو تقديرا كذلك لم يضرب يحتاج الى الواو التي هي علامة الحاليتها لما لم يصلح معه (قد) لأن (قد) لتحقيق الحصول و (لم) للنفي . شرح الكافية 4/1 - 195 والجمع 246/1. ولعل هذا الاستقراء يقدم دليلا ومستاتسا في تعضيد رأي من ردوا قول ابن خروف بالسماع .

(206) ولا نعيد ما ورد من شواهد المسألة لدى النحويين .

- في الأثر : « .. مات لم يأكل من أجره
شيثا » (207) .

- وفيه : « .. فما لهم لم يُدْخِلُوهُ نَفْسِي
البيت ؟ » (208) .

- ولسهم بن حنظلة الغنوي :
أعص الموائد وأرم الناس عن عرض
بذي سيبب يتاسى كَيْلَهُ خَيْبَا
كَالسَّمْعِ لَمْ يَنْتَقِبِ الْبَيْطَارُ مَرَّتَهُ
وَلَمْ يَدِجْهُ وَلَمْ يَفِيْزْ لَهُ عَمَبَا (209)

- وللمرار الفقمسي :
وَجِدْتَ شِفَاءَ الْمَوْمِ الرَّحِيْلِ
فَصَرْمِ الْخَلَاجِ وَوَشِيكَ الْقَضَاءِ
وَإِسْوَاؤِكَ الْهَمِّ لَمْ تَنْفِخْهُ
إِذَا ضَاعَكَ الْهَمُّ أَعْنَى الْعَنَاءِ (210)

- ولزُكْر بن الحارث الكلابي :
أَتَذْهَبُ كَتَبُ كَمْ تَنْظَلُهَا رِمَاخُنَا
وَتُنْتَرِكُ قَتْلَى رَاهِطٍ هِيَ مَا هِيَا (211)

- وللأخطل :
شَرِينَا فَمِتْنَا مَيْتَةَ جَاهِلِيَّةٍ
مَضَى أَهْلُهَا لَمْ يَعْرِفُوا مَا مُحَمَّدٌ (212)

- وللجاحظ : « .. وَصَوَّبْتُ إِلَيْهَا السَّبِيلَ
فَنَحْنُ الْآنَ إِذَا اغْتَسَلْنَا صَارَ الْمَاءُ إِلَيْهَا صَافِيَا لَمْ
يَخَالِطْهُ شَيْءٌ » (213)

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- ولجاحظ : « .. وَصَوَّبْتُ إِلَيْهَا السَّبِيلَ
فَنَحْنُ الْآنَ إِذَا اغْتَسَلْنَا صَارَ الْمَاءُ إِلَيْهَا صَافِيَا لَمْ
يَخَالِطْهُ شَيْءٌ » (213)

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

- 16 -

تقع الحال جيلة فعلية فعلها مضارع منفي بـ
« لم » ، رابطها الضمير والواو ، أو الواو وحدها .
ومن ذلك :

- في التنزيل : (أَنِّي يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ
أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ) (217)

- وفيه : (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ
يَمْسَسْنِي بَشْرٌ) (218) .

- وفي الأثر : « عن عمرو بن أمية رضي الله
عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من
كتف شاة تدعي إلى الصلاة فالتى السكين فصلتى
ولم يتوصأ » (219) .

(207) التجريد الصريح 87/1

(208) المصدر السابق 108/1 .

(209) الوحشيات من 32

(210) الوحشيات 53

(211) المصدر السابق 50

(212) المختارات السائرة 136

(213) البخلاء 29 . وصار - هنا - تامة على ما هو واضح راجح

(214) المختارات السائرة 151

(215) المصدر السابق 193 وقد جاء الرابط لهما ظاهرا ، كما هو ظاهر .

(216) المصدر نفسه 188

(217) البقرة 247

(218) آل عمران 47

(219) التجريد الصريح 27/1

- وفيه : « .. ثم قام الى المغرب فمضمض
ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ » (220) .
- ولعنترة :
ولقد خشيت بان أموت ولم تكن
للحرب دائرة على ابني ضميم
الشامي عزيي ولم اثتمها
والناظرين إذا لم القهما دي (221)
- وللمزار الفعصى :
هتكت الرواق ولم يبرودوا
وناديت فانبهوا للنداء (222)
- ولقيس بن الملوح :
تعلقت ليلسى وهي ذات مؤسد
ولم يبد للأتراب من ثديها حجم (223)
- ولطارق بن زياد (؟) : « وإن امتدت بكم
الايام على امتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ، ذهب
ريحكم » (224) .
- ولأبي تمام :
ضوء من النار والظلماء عاكمة
وظلمة من دخان في ضحي شجب
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلتت
والشمس واجبة في ذا ولم تجب (225)
- وللمتنبى :
كزلت ولم تزي يوما كريمها
تكر النفس فيه بالزوال (226)
- وللبديع : « .. قلنا : فما تقول في طرفة ؟
قال : .. مات ولم تظهر أسرار دفائنه ،
ولم تفتح أغلاق خزائنه » (227)
- وللمعروف الرصافي :
فاسمع مقالة من انك ولم يكن
فيها يقول مخايعا محتالاً (228)
- ولأحمد أمين : « ولم تبقى أمة حية على وجه
الارض من غير أن يكون لها دائرة معارف
بلغتها ، تسايرها مع الزمن ، وكلما تقدم
العلم والفن طبعها طبيعة جديدة تساير العلم
والفن ، الا الشعوب العربية لأنها وقفت ولم
تقم بهذا العمل .. » (229) .
- ولمارون عبود : « مت يا صاحبي ، ولم تشخ
همة ، ولم تلن عودا ، ولم تخر عزما » (230) .

— 17 —

- تقع الحال جبلة فعلية فعلها مضارع منى بـ
« ليا » ، رابطها الواو والضمير .
ومن ذلك :
- في التنزيل (231) : (أم حسبتم أن تدخلوا
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم) (232) .
- وفي شعر ابي ماضي :
وحطبت اقداحي ولما أرتوي
وعفت عن زادي ولما اشبع (233)
- (220) المصدر السابق 27/1 وانظر مثالا آخر مماثلا في المصدر نفسه 27/1 أيضا
- (221) المختارات السائرة ص 100 (226) المرجع نفسه ص 81
- (222) الوحشيات ص 56 (227) شرح مقامات البديع ص 14
- (223) أسرار العربية ص 190 (228) المختارات السائرة ص 195
- (224) المختارات السائرة ص 257 (229) فيض الخاطر 80/10
- (225) المرجع السابق ص 55 (230) نقذات عابر ص 33
- (231) ما استشهد به النحويون من قوله تعالى : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله ، وقوله عز
وجل : أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله . وانظر : شرح الاشبوني 259/1 والهمع 247/1 .
- (232) البقرة 214 (233) المختارات السائرة ص 189

- ولطرس البستاني: « لا تَبْجُ أيها السدم
العربي ولا تَعْتَنُظْ من الحق عندما تسمع واحدا
مشتركا نيك بين لك حقيقة حالك لا على
سبيل التفرع والطمأن .. » (239) .
- ولنجيب محفوظ: « .. وقال وكّر القول
— بداع وبلا داغ — ان اسبابها قد
انتطعت الى الابد » (240) .
- وله أيضا: « يناضل .. بلا معين ولا
نعير » (241) و « سألته على غير وعى
منها » (242) .
- ولفدوى طوقان:
وعاد كلاهما بطفو ، يدور بلا رجاء
متفرياً حيران .. » (243)

من مظاهر اصالة النقي في الحال

— 1 —

ويكشف لنا الاستقراء ان الحال تاتي منفية في
جمل متفرعة او متحولة ، وهي جمل دخلها النقي مع
عوامل الرفع والنصب مثل كاد وكان . وهذه الصور
الفرعية المنفية دلائل على ان الحال المنفية ظاهرة

— وفي قصص نجيب محفوظ: « .. وخاطب
نفسه ولما يَفُوقُ من ذهوله .. » (234)
وفيه أيضا: « وكان حسين كرشة يجلسه
يكرع من النبيذ الاحمر ولما ثلعب الخمر
برأسه » (235) .

ولعله يَسْوَعُ لي هذا الاتساع — (لا الاستيعاب
فاني استطعت الاشارة الى شطر من الشواهد
والامثلة الى الحواشي) — في التمثيل انني اتصد
الى اثبات الظاهرة من جهة ، وان عرضها على هذا
النحو التقريري المباشر يقدم بيانات اضافية عن
صورتها لا تنهيا بها في كتب النحويين وحده ، وقد
وجدت ، مثلا ، انه :

— 18 —

تقع الحال شبه جملة منفية (236)
ومن ذلك :

- في التنزيل: (.. مذبذبين بين ذلك لا الى
هؤلاء ولا الى هؤلاء) (237) .
- وفي عبارة محمود شaker: « ثم انطلق نسي
كتابه هذا مستخفا بكل شيء ، بلا
حذر » (238) .

(234) زقاق المدق ص 197

(235) المصدر السابق ص 232

(236) وهو ما لا نجد النحويين يثبتونه صراحة ، ولكنه يستفاد من كلامهم ضمنا ، « محمّل بتقريراتهم
المتوائية في نسيج كتبهم . وذلك ان شبه الجملة ، من وجه ، يقع عندهم حالا . في اوضح المسالك
(101/2) : « تقع الحال .. ظرفا كـ « رأيت الهلال بين السحاب » ، وجارا ومجرورا نحو (فخرج
على قومه في زينته) ويتعلقان بمستقر أو استقر محذوفين وجوبا . فاذا قدر احد ان شبه الجملة
مقصود به وضع إثباتي نفعه ، من وجه آخر ، انهم جعلوا « من أقسام (لا) النافية المعترضة بين
الخائض والمخفوض ، نحو « جنت بلا زاد » و « غضبت من لا شيء » .. » البغنى 270 .

(237) النساء 142 ، 143 .

(238) المتنبي 40/1

(239) المختارات السائرة 7 — 228

(240) زقاق المدق 232

(241) المصدر السابق 55

(242) المصدر نفسه 73 ، وانظر امثلة اخري في زقاق المدق 22 ، 33 ، 74 ، 75 ، 77 ، 80 ، 100

، 135 ، 141 ، 169 ، 172 ، 181 ، 183 ، 188 ، 194 ، 196 ، 219 ، 224 ، 230 ، 234 ، 235 ،

236 ، 237 (243) وجدتتها ص 142 .

وتقع الحال مشتبهة بالخبر والصفة ؛ ذلك انها تستعمل على اتحاء تحتمل الحال والخبر حيناً، وتحتمل الحال والصفة حيناً آخر . وهذا يؤيد ما لاحظتته النحويون من الشبه بين الحال والخبر والنعت من وجوه أخرى (251) . ولكنه ، هنا ، ذو أهمية استدلالية خاصة ؛ لان الحال المشتبهة بالخبر ؛ والحال المشتبهة بالصفة جاءتا نغياً ، فاذا كان ذلك كذلك دل على ان نفي الحال مثل نفي الخبر ونفي الصفة وليس النفي في الخبر والصفة بمحل إنكار !

فمن وقوع الحال منفية مشتبهة بخبر منفي :

- ما روي « عن جابر رضى الله عنه قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وانا مريض لا اعقل فتوضاً وصتب علكي من وضوئه فعملت » (252).

- وما روي « عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وانا انا قاسم والله عز وجل يعطى . ولن تزال هذه الامة قائمة على امر الله لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله » (253) ومن وقوع الحال منفية مشتبهة بصفة منفية :

نامية ذات امتداد . وواضح في ضوء التحليل ان جمل الحال المنفية في الشواهد والامثلة التالية تردت بمد اطراح النواسخ الى جمل منفية بسيطة : اسمية او فعلية ، ومن امثلة هذه الظاهرة ذات الدلالة الاضافية الخاصة :

- في التنزيل : (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) (244)

- وفي مقامات البديع : « .. ينصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم » (245)

- وفي زقاق المدق : « .. اهمله وكأنه لم يعد يشعر له بوجود » (246)

- وفي نقذات عابر : « .. تزكته . (..) وكانها لم تفعل .. » (247) .

- وللطيب صالح : « ذهب محجوب كأنه لم يسمع » (248) .

- ولفدوى طومنان :

ويبيضى (249) كما

كان ، كان لم تننه محنة (250)

(244) النساء 78

(245) شرح مقامات بديع الزمان ص 11

(246) ص 203 ، وانظر امثلة اخرى في زقاق المدق : ص 237 ، 89،8 ، 133 ، 174 ، 183 ، 193 ، 172 ، 219

(247) ص 62

(248) بندرشاه ضو البيت ص 13

(249) الفصن وفقاً للسياق

(250) وجدتها ص 38

(251) انظر : كتاب سيوييه (هارون) 49/2 والمتنضب 261/3 وواضح المسالك 96/2 والتوضيح

والتكميل لشرح ابن عقيل 464/1 .

(252) التجريد الصريح 26/1

(253) المصدر السابق 16/1

— « فنظرت الى تحت ، فرأيت الشاب المتلبط
الجريدة ، وما زال يحمل ناسه » (260) .

ولعل من هذا الباب ، في دلالاته على أصالة النفي
في الحال وامتداداته وتظلمه ، وتوعج جملة النفس
المنتفض نفيها بيلاً حالاً ، وذلك كما في :

— (.. خرج في سبيله لا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي
وتصديق برسلي ..) (261) .

— (عن عائشة رضی الله عنها قالت : خرجنا
لا نرى إِلَّا الحجج ..) (262) .

— « ثم جاء الخلف فزادوا هذه البحور شيئاً
فشيئاً لا يهديهم في الابتكـار إلا الاذن
الموسيقية » (263) .

— « تركته معلّماً بحبال الهواء لم تدع له الا
رسالة من ثلاثة أسطر .. » (264) .

— وسنبقى هناك نمشى ولا نعلم الا شيئاً
يحسّه قلبانا (265)

ولعل من هذا أيضاً ما أرى من وتوعج الحال منفية
مسبوقة بشرط ؛ فاني أرى فيها يلي جملاً حالية :

— (.. فكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا
رؤوسكم وأن لم تكونوا جنباً ..) (266) .

— قوله تعالى : (لا يذوقون
فيها برداً ولا شرباً) (254) .

— وفي الاثر : (.. مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوئِي
هذا ثم صَلَّى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه خُفِرَ له
ما تقدم من ذنبه) (255)

— وفيه : (عن أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه أنه قال : تَمَّى النبي صلى الله عليه وسلم عن
اشتغال الشتاء وأن يحتبى الرجل في ثوب واحد ليس
على فرجه منه شيء) (256) .

— وفيه : (عن عتبة بن عامر رضي الله عنه
قال : تلنا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك
تبعثنا فننزل بقوم لا يُغروننا ..) (257)

— 3 —

ومن مظاهر أصالة النفي في الحال انها تتخذ
صيفاً ظاهرهما النفي ولكنها استحالت انباطاً ثابتة
دلالتها الايجاب . ومن ذلك وتوعج جملة (لا
تلوي) (258) حالاً على سعة وكثرة ، كما تقدم في
وتوعج الحملة النملية المنفية — (لا) حالاً . ومنه
وتوعج جملة (ما زال) حالاً ، كما في :

— مَرَّ عامان وما زال الهوى حلماً غريباً (259)

254 النبا 3 — 24 - وانظر في احتمال (لا يذوقون) الحال من ضمير (لا يذوقون) والتمت لـ (احتجاب) :

مشكل اعراب القرآن 451/2

(255) التجريد الصريح 24/1

(256) المصدر السابق 38/1

(257) المصدر نفسه 149/1

(258) انظر في بعض امثلتها تذكره : زقاق المدق ص 19 ، 85 ، 92 ، 218

(259) وجدتها ص 173

(260) الوقائع الغريبة ص 205

(261) التجريد الصريح 11/1

(262) المصدر السابق 31/1

(263) فيض الخاطر 23/10 ، وانظر مثله في المرجع نفسه 90/10

(264) نقداً عابر ص 58

(265) وجدتها ص 52

(266) التجريد الصريح 70/1

نظرات في تعاقب النفي والاثبات

وإخال ما تقدم ، على مستوى القواعد والسماع والاستعمال ، ينهض دليلاً ثابتاً على أنّ الحال ، في العربية ، تقع منفية بغلبة ظاهرة .

ولكنه يبدو لي أيضاً ، على مستوى النظر ، أنّ مجيء الحال منفية ظاهرةً نحويةً شأنها شأن سائر الظواهر النحوية في أنها تنضبط بأصول . ويبدو لي ، في ضوء التحليل ، أنّ أهمّ الأصول التي تنضبط بها هذه الظاهرة أصلاً : أولهما عاملُ الحال وخاصةً دلالتُه ووجّهُ العلاقة بينها وبين دلالة الحال ؛ هل تجريان معاً على وجه الإيجاب ثم على وجه السلب أم بين بين . والثاني : السياق ، سياق الجملة في النصّ أو في الموقف الكلامي .

فمن أمثلة الأصل الأول أننا نقول :

— لبث حيناً يتكلّم

— لبث حيناً لا يتكلّم

على مستوى واحد من القبول لجريان دلالة (اللبث) مع حال التكلم وعدمه . وكذلك نقول :

— ما بال أخيك يهادن كلّ أحد ؟

— ما بال أخيك لا يهادن أحداً ؟

على مستوى واحد من الصواب الساتع ؛ لجريان هذا الضرب من السؤال مع التميميم نفيًا وإثباتًا .

ونقول :

— صامحته بيكي

ثم نستبدل بالفعل (عهدته) فنقول :

— عهدته لا بيكي

— أولي وفاة وإن لم تبذلي صلة ... (267)

« .. ومن أجل هذا أمكن الأديب إذا عرض عليه نوع من الأدب ، أن يعرف عصره ولو لم يعرف تأله .. » (268)

وأرى حرف الشرط (إن ، لو) يفيد في الحال المنفية معنى إضافيًا .

أما منع النحويين لوقوع أداة الشرط في جملة الحال (269) فأغلب الظن أن مرجعه إلى اعتبارهم أداة الشرط دليل استقبال يفاير زمانها زمن عامل الحال ولا يجري معه . والحق أنّ ملحظ الزمان ليس مطلقاً في العربية ؛ ذلك أنه يتعين وفقاً للملابسات والترانن التي تكتنف الفعل وعبارته (270) .

ولعل ما يؤيد القول بالحالية في الجمل المتقدمة أنّ أبناء العربية سيفنون الجمل التالية ، كل جملتين على حدّ سواء (271) :

1 — هل يحضّر (....) ولم يدع ؟

2 — هل يحضّر (....) وإن لم يدع ؟

*

3 — سيتخرّج (....) هذا العام ولم يبلغ العشرين .

4 — سيتخرّج (....) هذا العام وإن لم يبلغ العشرين .

ويلحظون الحالية في الأولى والثالثة ، ويلحظون الحالية مع معنى إضافي في الثانية والرابعة .

(267) المختارات السائرة ص 126 ، وهو صدر بيت لابن زيدون

(268) نفيض الخاطر 2/10

(269) انظر في هذا : النحو الوافي لعباس حسن 311/2

(270) وانظر في هذا : الفعل زمانه وأبنيته لإبراهيم الساراني 34 ، 52

(271) ويمكن لأبناء العربية ، ببسر السليقة ، أن يستظفروا لكل من هذه الجمل سياقاتاً مخصوصاً مناسباً .

فتكون الجملتان سواء في الاستقامة على مقياس العربية ؛ نظرا لاختلاف الفعل من تلك الجهة، جهة الدلالة وانسجامها بين الفعل والحال .

وعلى هذا يسوغ لنا أن نقول على حد سواء في التبول :

— عاش حياته يقدر على كل ما يريد .

— سقط على الأرض لا يقدر على الحركة .

فإذا بدا لبعض الناس أن جملة (جاء - لا يبكي) على هذا النحو مجرد تجعل الحال المنفية كأنها لا تنطوي على أية فائدة فلا يسوغ فيها وقوع الحال نفيا ، فإنه يبدو لنا أن الاتساع بهذه الجملة إلى سياق مخصوص يجعلها صحيحة تماما ، مفيدة فائدة تامة ، مقبولة بلا تحفظ . فمثلا : إذا كان الابوان في معرض الحديث عن ولدهما ، أول عهده بالمدرسة وأنه كان يعود منها باكيا في كل مرة ، وقال أحدهما في معرض المراجعة والتذكير : هل حدث أنه عاد يوما من المدرسة لا يبكي ؟ كان وقوع الحال نفيا في جملة من هذا السياق هو الوجه ، عربيا جيدا .

ومن أمثلة هذا الأصل الثاني ، السياق ، أننا نقول في موقف معين :

— ثم عاش (٠٠) ، سائر عمره ، يسمع انتقادات الناس لحكمه فلا يحير جوابا .

ونقول ، في سياق آخر يسهل تصوره :

— وعاش (٠٠) بينهم لا يسمع إشارة إلى ما فرط منه البتة . وكذلك نقول على تعاقب سياقين :

— ثم أقامت (٠٠) بعد ذلك نهرا تبكي إخوتها .

— وأقامت (٠٠) فيهم لا تبكي ، تجلدا وانتناصا للخبر عن القاتل .

ونقول أيضا :

— أقام (٠٠) فيهم يسأل عن كل صغيرة وكبيرة .

— أقام (٠٠) فيهم لا يسأل عن شيء .

بل إنه — في نطاق بعض التراكيب النمطية — يعانى الإثبات ما يعانى النفي من التحفظ عليه وعدم إيساغته في جمل محدودة موضوعة على التحكم خارج سياق كامل . فمن ذلك أننا نقول :

— دخل البيت يجبر رجله

مقبولا مستساغا ، فإذا قلنا :

— دخل البيت لا يجبر رجله

كان ذلك — بهذا الاقتضاب — كالأخبار بما لا داعى له ولا فائدة منه . لكننا نقول بازاء ذلك :

— دخل البيت لا يقوى على التقاط أنفاسه ، سائغا مقبولا ، فإذا قلنا :

— دخل البيت يقوى على التقاط أنفاسه ، كان كمثل تحصيل الحاصل فصولا مستقبحا مردولا .

وقد اجتهدت أن امتحن قياسية وقوع الحال نفيا ، فاتخذت طائفة من الأفعال تتراوح بين أفعال الحس (تذوق ، استمع ، نظر ، تحسس ، شم) وأفعال العلاج في اتجاهات مختلفة (رفع ، خفض ، وقف ، سار ، انحنى) وأفعال العلاج في الصنائع (حرث ، زرع ، نسج) ، وتستوعب أمثلة من الفعل ماضيا مجردا (نظر ، شم ، رفع ، خفض ، الخ) ومزيدا (أنس ، قوض ، اندفع ، انتهر ، استقبل) ومضارعا مجزّدا (يلعن ، يأمن) ومزيدا (يُسَلِّم ، ينطلق ، يستأنن ، يتساءل) . وأقمت على هذه الأفعال جملا جهدت أن أضئها الحال مفردة وجملة وشبه جملة على وجهي الإثبات والنفي في كل ، وفقا لما تهدي إليه قواعد النحو ، ومعطيات السليقة العربية والإسبغ الاستعمال الجاري ، فاستوى لي من ذلك الجمل التالية :

(1) — تذوق (٠٠) الطعام يقصد إلى انتقاد طابخه

— تذوق (٠٠) الطعام لا يقصد إلى انتقاد طابخه

— تذوق (٠٠) الطعام كأننا بنه

— تذوق (٠٠) الطعام لا كأننا به

— تذوق (٠٠) الطعام بشهية

— تذوق (٠٠) الطعام بلا شهية

(2) — استمع (٠٠) إلى المعزوفة وهو يعرف أنها مسروقة

— استمع (٠٠) إلى المعزوفة وهو لا يعرف أنها مسروقة

— استمع (٠٠) إلى المعزوفة مستغربا

— استمع (٠٠) إلى المعزوفة غير مستغرب

— استمع (٠٠) إلى المعزوفة بتنبه

— استمع (٠٠) إلى المعزوفة بلا تنبه

- (8) - وقف (٠٠) يتلفَّت
 - وقف (٠٠) لا يتلفَّت
 - وقف (٠٠) متحدِّثًا
 - وقف (٠٠) لا متحدِّثًا بل ملتئمًا شيئًا من الراحة
 - وقف (٠٠) في دهشة
 - وقف (٠٠) في غير دهشة

- (9) - سار (٠٠) متهمِّلا
 - سار (٠٠) لا متهمِّلا بل منمِّدًا
 - سار (٠٠) يقصد التمرين
 - سار (٠٠) لا يقصد التمرين
 - سار (٠٠) وقد توقَّفت السيَّارات
 - سار (٠٠) ولما توقَّفت السيَّارات

- (10) - انحنى (٠٠) متواضعا
 - انحنى (٠٠) لا متواضعا بل مهتبلا فرصة غدر
 - انحنى (٠٠) يقصد الاعتذار
 - انحنى (٠٠) لا يقصد الاعتذار
 - انحنى (٠٠) بادب
 - انحنى (٠٠) بلا ادب

- (11) - حرث (٠٠) أرضه وهو يؤمل أن ياكل من ثمرها
 - حرث (٠٠) أرضه وهو لا يؤمل أن ياكل من ثمرها
 - حرث (٠٠) أرضه بأمل
 - حرث (٠٠) أرضه بلا أمل
 - حرث (٠٠) أرضه مستمتعا
 - حرث (٠٠) أرضه لا مستمتعا بل ملتزما بحقها عليه

- (12) - زرع (٠٠) أرضه مُستنجبًا
 - زرع (٠٠) أرضه لا مستنجبًا بل مُستمتعا بزرعها

- زرع (٠٠) أرضه ينتظر المطر
 - زرع (٠٠) أرضه لا ينتظر المطر
 - زرع (٠٠) أرضه بعناية
 - زرع (٠٠) أرضه بلا عناية

- (13) - نسج (٠٠) الثوب مهتًا بإنتاجه
 - نسج (٠٠) الثوب لا مهتًا بإنتاجه بل مضنيًا بسرعة إنجازهِ

- نظر (٠٠) إليه وقد اقتحم الباب
 - نظر (٠٠) إليه ولما يقتحم الباب
 - نظر (٠٠) إليه باستخفاف
 - نظر (٠٠) إليه بغير استخفاف
 - نظر (٠٠) إليه متسائلًا
 - نظر (٠٠) إليه لا متسائلًا ، بل مستجيبًا

- (4) - تحسَّن (٠٠) جسمه مثالمًا
 - تحسَّن (٠٠) جسمه لا مثالمًا بل متقدِّدًا موضع الاصلبة .
 - تحسَّن (٠٠) جسمه يعرف أن به إصابة بليغة
 - تحسَّن (٠٠) جسمه لا يعرف أن به إصابة بليغة
 - تحسَّن (٠٠) جسمه بتراخ
 - تحسَّن (٠٠) جسمه بلا تراخ

- (5) - شمَّ (٠٠) البرتقالة مختبطًا
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة لا مختبطًا بل محزونًا
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة يعرف أنها خرجت من أرضه
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة لا يعرف أنها خرجت من أرضه
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة بسعادة
 - شمَّ (٠٠) البرتقالة بلا سعادة

- (6) - رفع (٠٠) يده يمي أن هذه الحركة تجمل خصمه يجنل .
 - رفع (٠٠) يده لا يمي أن هذه الحركة تجمل خصمه يجنل .
 - رفع (٠٠) يده فاضبًا
 - رفع (٠٠) يده لا فاضبًا ولا محيًّا
 - رفع (٠٠) يده بمصبيَّة
 - رفع (٠٠) يده بلا مصبيَّة

- (7) - خفَضَ (٠٠) بصره مستحيًا
 - خفَضَ (٠٠) بصره لا مستحيًا بل خجلًا
 - خفَضَ (٠٠) بصره يفكر في شيء
 - خفَضَ (٠٠) بصره لا يفكر في شيء
 - خفَضَ (٠٠) بصره وأثناء تسمان
 - خفَضَ (٠٠) بصره وأثناء لا تسمان
 - خفَضَ (٠٠) بصره باستحياء
 - خفَضَ (٠٠) بصره بلا استحياء

- نسج (٠٠) الثوب يلتفت يمنة ويسرة
 — نسج (٠٠) الثوب لم يلتفت يمنة أو يسرة
 — نسج (٠٠) الثوب بأصول
 — نسج (٠٠) الثوب بلا أصول
- استقبل (٠٠) ضيفه لم يجامله
 — استقبل (٠٠) ضيفه على محيَّاه مسحة من
 كآبة
 — استقبل (٠٠) ضيفه ليس على محيَّاه مسحة
 من كآبة

- (14) — أفلس (٠٠) يائسا
 — أفلس (٠٠) لا يائسا بل متحفِّزاً لِتَدَارِكِ مَا
 قَرَطَ مِنْهُ
 — أفلس (٠٠) وهو يدرك أسباب إفلاسه بوضوح
 — أفلس (٠٠) وهو لا يدرك أسباب إفلاسه
 بوضوح
 — أفلس (٠٠) بكرامة
 — أفلس (٠٠) بلا كرامة

- (15) — تَوَّض (٠٠) أركان النظرية يلتبس نظرية
 أشمل
 — تَوَّض (٠٠) أركان النظرية لا يلتبس نظرية
 أشمل ..
 — تَوَّض (٠٠) أركان النظرية قاصدا إلى الهدم
 — تَوَّض (٠٠) أركان النظرية لا قاصدا إلى الهدم
 — تَوَّض (٠٠) أركان النظرية في رفق
 — تَوَّض (٠٠) أركان النظرية في غير رفق
- (20) — يَأْمَن (٠٠) الدنيا غاملا
 — يَأْمَن (٠٠) الدنيا لا غاملا بل مسلِّما لنواميسها
 — يَأْمَن (٠٠) الدنيا يلتبس لديها حظًّا أوفر ..
 — يَأْمَن (٠٠) الدنيا لا يلتبس لديها حظًّا أوفر
 بل يَنْعِمُ منها ما جَرَّت به عليه .
 — يَأْمَن (٠٠) الدنيا وقد ابتلى بِكَذِّبَاتِهَا
 — يَأْمَن (٠٠) الدنيا ولم يبتل بِحَدِّثَاتِهَا

- (21) — يُسَلِّمُ (٠٠) على أتداده مستعليا
 — يُسَلِّمُ (٠٠) على أتداده لا مستعليا بل جاريا
 على عادته
 — يسَلِّمُ (٠٠) على أتداده وهو يعرف أثر طريقتة
 في السلام في أنفسهم .
 — يسَلِّمُ (٠٠) على أتداده وهو لا يعرف أثر
 طريقتة في السلام في أنفسهم
 — يسَلِّمُ (٠٠) على أتداده بثقة
 — يسَلِّمُ (٠٠) على أتداده بلا ثقة
- (16) — اندفع (٠٠) متهورًا
 — اندفع (٠٠) لا متهورًا
 — اندفع (٠٠) يطمع أن يظهر بشيء
 — اندفع (٠٠) لا يطمع أن يظهر بشيء
 — اندفع (٠٠) بتمكُّن
 — اندفع (٠٠) بلا تمكُّن

- (17) — انتَهز (٠٠) الفرصة مستغلًّا
 — انتَهز (٠٠) الفرصة لا مستغلًّا بل مجتهدًا
 مستقيمًا
 — انتَهز (٠٠) الفرصة يردُّ حقًّا لمظلوم
 — انتَهز (٠٠) الفرصة لا يردُّ حقًّا لمظلوم
 — انتَهز (٠٠) الفرصة على نيَّة خبيثة
 — انتَهز (٠٠) الفرصة على غير نيَّة خبيثة
- (22) — ينطلق (٠٠) إلى غايته يتمتُّر
 — ينطلق (٠٠) إلى غايته لا يتمتُّر
 — ينطلق (٠٠) إلى غايته بخطة محكمة يضمها
 — ينطلق (٠٠) إلى غايته بلا خطة محكمة يضمها
 — ينطلق (٠٠) إلى غايته جادًا
 — ينطلق (٠٠) إلى غايته غير جادًا

- (18) — استقبل (٠٠) ضيفه فاترا متثاقلا .
 — استقبل (٠٠) ضيفه لا فاترا ولا متثاقلا
 — استقبل (٠٠) ضيفه بفتور وثاقلا .
 — استقبل (٠٠) ضيفه بلا فتور ولا ثاقلا
 — استقبل (٠٠) ضيفه يجامله
- (23) — يستأذن () في الدخول متأدِّبًا
 — يستأذن (٠٠) في الدخول لا متأدِّبًا بل متهكِّمًا
 — يستأذن (٠٠) في الدخول يتوقَّع أن يؤدِّن له
 — يستأذن (٠٠) في الدخول لا يتوقَّع أن يؤدِّن له

- وفي الخبر عن كسرى ابو شروان انه قيل له: « ما بال الرجل يحبل الحمل الثقيل فيحتمله ولا يحتمل مجالسة الثقلاء ؟ .. » (275).
- وفي عبارة احمد امين : « وتمعصب قويم للتقديم يفودون عنه ويحافظون عليه ، ولا يسمحون بأي تغيير فيه » (276).

ومع ان النفي هنا يأتي عقب الاثبات ولا يأتي حالا ابتداءً فإنه يأتي قريع الاثبات من جهة ويصلح لأن يقع حالا من غير ان يتكء على الاثبات . ويمكن لنا ان نمحن ذلك باطراح المثبت مما تقدم ، واذن تبقى النصوص هكذا : (ألقوا في الحرّة .. لا يُشَقُونَ) (الا تعجبون ممن ينام .. ولا يرجو الفوت) (ما بال الرجل .. لا يحتمل مجالسة الثقلاء ؟) (وتمعصب قويم للتقديم .. لا يسمحون بأي تغيير فيه) .

وقد عرّض القائل بين الاثبات والنفي ، على مستوى الاستعمال الجاري في العربية ، بصورة مطلقة وذلك في مواضع اكتملت لها الشروط الدلالية والسياتية .

وتتخذ الحال في هذه المواضع أنحاء مختلفة ؛ فمنها أنها جاءت جملة فعلية منفية بإزاء جملة فعلية مثبتة ، كما في الحديث :

- (عن ابي ذرّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتاني آت من ربي فاخبرني ، او قال بشرني انه من مات من أمّتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق) .
- (عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار ، قلت أنا : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) (277) .

— يستأنن (..) في الدخول بأدب

— يستأنن (..) في الدخول بلا أدب .

- (24) — يتساءل (..) عن السبب متجاهلاً
- يتساءل (..) عن السبب لا متجاهلاً بل مستعلماً
- يتساءل (..) عن السبب وهو يعرفه
- يتساءل (..) عن السبب وهو لا يعرفه
- يتساءل (..) عن السبب بوعي
- يتساءل (..) عن السبب بلا وعي

ولا شك أنّ في هذه الجملة الموضوعية تحكماً بقدر. ولا ريب أنّ في سياقاتها نقصاً من نوع ما . ولكنني أرجو ان تكون ، على العموم ، محل قبول لدى أبناء العربية . فاذا كان ذلك كذلك فإنه يمكن لي ان أقرّر ان وقوع الحال نفيًا يشبه ان يكون قياساً ، لا يعترضه الا ما يعترض غيره من الاقيسة بين الممكن ، على مستوى النظر ، والمستعمل ، على صعيد الواقع ، وتلك هي الإشكالية التي لم تعد مشكلة !

وقد تكون الحال المنفية لفظاً كالبدل عن الحال المشتملة على النفي دلالةً . وذلك تعاقب (نجهل) و (لا ندري) في بيتي ندوى طوقان :

وسنمشي ونحن نجهل من يدفعا
في المدى وما سنلاقي
وسنمشي بما بعيداً ولا ندري
متى ينتهي الطريق الوثير (272)

وقد يعطف النفي على الاثبات ، فتقع الحال منفية معطوفة ، ومن ذلك :

- حديث انس رضى الله عنه : (مَأْلُوقَةٌ فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ) (273) .
- وقول البديع : « الا تعجبون ممن ينام وهو يخشى الموت ، ولا يرجو الفوت » (274) .

(272) وجدتها ص 51

(273) التجريد الصريح 28/1

(274) شرح مقامات بديع الزمان ص 176

(275) جريدة الدستور ، العدد 4314 ، ص 11

(276) فيض الخاطر 1/10 وانظر مثل هذا ايضا في المرجع نفسه 84/10

(277) التجريد الصريح 85/1 — 86

— وفي التصص المعاصر : « ثم أرسلت بناظرها من خلال الخصاص تَرَى ولا تُرَى » (278)

ووقع التقابل بين جملة فعلية مثبتة وجملة اسمية خبرها تلك الجملة الفعلية نفسها بنفسية ، وذلك :

— وفي كلام أحمد أمين : « .. إن شئت فوازن بين ما يدرسه الطالب في المدارس الثانوية أو العالية في الأدبين ، فهو في الأدب الغربي يدرس شكسبير وأمثاله فيجد موضوعا شيقا (!!) يمثل حالة من الحالات التي تتصل بنفسه وتمس حياته الاجتماعية بقدر ما ، قد صيغت في قالب فني رشيق ، فخرج من الدرس يحبها ويحب موضوعها .

أما في الأدب العربي فيدرس مختارات من جرير والنزديق والأخطل أو مختارات من مقامات البديع والحريري أو نحو ذلك ، وهذه كلها لا تمثل ناحية اجتماعية يحياها أو ما يقرب منها ، ولا فكرة عميقة حللت تحليلا (279) واسما ، لذلك يخرج منها وهو لا يحبها أو على الأقل يكون على الحباد منها » (279) .

وجاءت الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية منفية بأزاء جملة اسمية خبرها جملة فعلية مثبتة على لتماثل وإمكان التبادل ، وذلك :

— « وكان يتخصمها بنظر ثابت ، فأيقن أنها تجاذبه الحديث وهي لا تدري ، أو وهي تدري » (280) .

وجاءت شبه جملة على الإثبات والنفي معا ، وذلك :

— « .. وقال وكرر القول — بداع وبلا داع — إن أسبابهما قد انقطعت الى الأبد » (281) .

ويخيل إلي أن النفي والإثبات ، من جهة وقوعهما حالا ، سيان ؛ ذلك أنهما يخضمان لمثل الشروط المتقدمة. ولعل مما يؤيد أن الإثبات كالنفي ، نسي الحال ، أننا لو رجعنا الى الأمثلة التي وقعت فيها الحال منفية ورددناها الى الإثبات ، على وجه التحكم ، لوجدنا الإثبات في كثير منها مستهجنا .

ومن أمثلة ذلك ، وهي أمثلة نستخرجها مما تقدم ونسوقها على وجه المقابلة :

(1) النفي : « تطع حانظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيمي لا يدخل في نظام ، ولا يصبر على جهد .. » (282) .

(* الإثبات : « تطع حانظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيمي .. يدخل في نظام .. »

(2) النفي : « كان يزرع محاصيل الشتاء في الصيف والشتاء يعمل على مدار العام لا يكمل ولا يفتر » (283) .

(* الإثبات : « كان يزرع محاصيل الشتاء في الصيف والشتاء يعمل على مدار العام .. يكمل .. »

(3) النفي : « اندفعت ففتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها ، ويدي بيد يعاد لا تركها » (284)

(* الإثبات : « اندفعت ففتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها ، ويدي بيد يعاد .. تركها »

(4) النفي : ولكن طيفك كان يغيب وراء المدى صامتا لا يجيب (285)

(* الإثبات : ولكن طيفك كان يغيب وراء المدى صامتا .. يجيب

(282) المختارات السائرة 242

(283) بندرشاه صو البيت 134

(284) الوقائع الغريبة 181

(285) وجدتها 34

(278) زقاق المدق ص 137

(279) فيض خاطر 15/10

(280) زقاق المدق 140

(281) زقاق المدق 232

الى ذلك القول في سعة المتغيرات التي تلابسه نسي
موقف الاستعمال .

ويدفع هذه الدهشة بصورة حاسمة ما نعرف
من أمر القياس في العربية . وذلك أن الظاهرة قد
تدخل في حد الغلبة حتى يستوي لها قياس لا مرأى فيه
ولكن بعض أمثلتها يظل خارج دائرة إلاف والسماع .
ومن ذلك ، مثلا ، أن (مفعول) قياس في اسم المفعول
من الثلاثي ، ولكننا نصاب بمثل تلك الدهشة من قول
أحدهم : مجموع !

بل إن وقوع الحال مثبتة في بعض الأمثلة
النمطية أو الموضوعية على وجه التحكم يبيِّن
مستهجنا غير سائغ ، ويكون النفي هو الوجه كأنه
لا وجه غيره ، وذلك في مثل قولنا :

— صَدَقَ (.) لسيف الجلاد لا يرف له جفن ؛
فلو أن أحدا جاء بجملة الحال على الإثبات ما استقام
له ذلك بل كان استهجان الإثبات هنا أشد من
النفي في قولنا المقتضب : جاء لا يبكي .

ويبدو لنا من وجه مقابل في طرح المسألة أنه
لو عرضنا امثلة الحال المنفية مما تقدم استقصاؤه
في النصوص وأستطنا النفي منها لوجدنا مجيء الحال
مثبتة في كثير من تلك الأمثلة مستهجنا تماما .

(5) النفي : « تفتح زودها لمئات العصافير الزائرة
لا تبخل على واحدة بخيمة ظل .. أو سرير ورق
أخضر » (286)

(*) الإثبات : « تفتح زودها لمئات العصافير
الزائرة .. تبخل على واحدة بخيمة ظل .. أو
سرير ورق أخضر » .

وهذا غيظ من فيض ، نجتزئ به مجانبية
للتكثر والإطالة .

خاتمة :

وربما يظهر للقارئ العربي ، وقد فرغ من
عرض القضية ووقف على أمثلتها في الاستعمال ، أن
المسألة ، مسألة وقوع الحال نفيا ، مفروغ منها ،
وأن التحقيق فيها من لزوم ما لا يلزم . ولكن الحق
أن المسألة تبدو للخاطر الأول وفي حدود ضيقة من
التحكم ، على وجه المتابلة ، قابلة لرجع النظر
تحقيقا .

وهكذا تتبدد الدهشة العابرة التي نعتري
السامع لملاحظة أن الحال لا تقع منفية في قولنا : جاء
.. لا يبكي ، حين نضمه على وجه التحكم بازاء : جاء
.. يبكي ، أقول : تتبدد تلك الدهشة إذا نحن نظرنا

ثبت المصادر والمراجع

أ - في القواعد :

الفعل : زمانه وأبنيته ، لإبراهيم السامرائي ، بغداد 1386 - 1966 .

في النحو العربي (قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) : لميدي المخزومي ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1386 - 1966 .

كتاب سيوييه ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، القاهرة 1966 - 1975 .

مذكرات في قواعد اللفظة العربية ، لسميد الإنفاني ، الطبعة الثالثة ، مطبعة جامعة دمشق .

كتاب مشكل أعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسى ، تحقيق ياسين السواس ، دمشق ، 1394 - 1974 .

مفني اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، مراجعة سميد الإنفاني ، دار الفكر الحديث - لبنان .

المفصل : للزمخشري ، طبعة (بروخ)

المقتضب ، للسبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضية ، القاهرة 1385 - 1388 .

النحو الوافي ، لعباس حسن ، دار المعارف بصر ، الطبعة الثانية ، 1963 .

جمع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، الطبعة الأولى 1327 هـ .

ب - في النصوص :

أحوال التربية والتعليم في الأراضي المحتلة ، أعداد بكر تنيرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة 1973 .

أسرار العربية : لابن الأنباري ، تحقيق محمد بيجة البيطار ، دمشق 1377 - 1957 .

الأصول في النحو ، لابن السراج ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، النجف الأشرف 1973 .

الأمالي الشجرية : لابن الشجري ، حيدر آباد 1349

أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة : الطبعة الرابعة 1375 - 1956 .

بدائع الفوائد : لابن تيم الجوزي ، إدارة الطباعة المنيرية بمصر .

التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيز النجار ، القاهرة 1386 - 1966 .

خزاة الأدب ، للبغدادي ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1349 هـ .

شرح الأشموني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى 1375 - 1955 .

شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة الطبعة الثامنة 1380 - 1960 .

شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، الطبعة الماثرة 1381 - 1961 .

شرح الكافية ، للرضي الاسترابادي ، 1275 هـ .

القرآن الكريم :

- المتنبى ، السفر الاول ، لمحمد محمد شاکر ،**
القاهرة ، (بلا تاريخ ، لهذا النشر الثاني ، صريح) .
- المختارات السائرة ، جمعها انيس الخوري**
المقدس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة
الرابعة 1955 .
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضع**
محمد فؤاد عبد الباقى ، مطابع الشعب ، القاهرة ،
1378 .
- نقدات عابر ، لمارون عبود ، دار الثبانة ،**
بيروت 1959 .
- وتريات ليلية ، الحركة الاولى والثانية 1970 -**
1975 ، لظفر النواب ، الطبعة الثانية .
- وجدتها ، لندوى طوقان ، منشورات دار الآداب ،**
بيروت 1959 .
- كتاب الوضائيات ، لابی تمام ، تحقيق عبد**
العزیز البيني ومحمود محمد شاکر ، دار المعارف ،
القاهرة 1963 .
- الوقائع القرية في اختفاء سعيد ابي النحاس**
المتشائل ، لاميل حبيبي ، الطبعة الثالثة ، منشورات
صلاح الدين ، القدس 1977 .
- أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم**
العربي الحديث ، لنهني جدعان ، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، بيروت 1979 .
- البلاء ، للاحافظ ، تحقيق طه الحاجري ، دار**
المعارف بمصر 1958 .
- بندر شاه ضو البيت ، للطيب صالح ، دار**
المودة ، بيروت 1971 .
- التحيد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح ،**
للحسين بن المبارك ، الجزء الاول ، مكتبة ومطبعة
مصطفى الباقى الحلبي وأولاده بمصر .
- جريدة الدستور ، العدد 4314 ، عمان -**
الاردن ، الخميس 16 - 9 - 1399 ، 8 -
1979 .
- زقاق المدق ، لنجيب محفوظ ، دار القلم ،**
بيروت ، لبنان 1972 .
- السيدة صاحبة الكلب ، لانتون تشيخوف ،**
ترجمة أبو بكر يوسف ، دار التقدم ، موسكو 1978 .
- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ، لمحمد**
محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة
1381 - 1962 .
- فيض خاطر ، الجزء العاشر : نيف ومائة**
صفحة منه ، لاحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة 1956 .